٦ ر.س

الفوضوية في حياتنا

- الفوضوية في طلب العلم
- الفوضوية في التعامل مع الأوقات
- الفوضوية في الصحبة والزيارة
- الفوضوية في القيام بالعبادات
- الفوضوية في الدعوة إلى الله
- الفوضوية في الأعمال الدنيوية
- الفوضوية في حياة المرأة
- الفوضوية في التفكير

بقلم
عادل بن محمد آل عبد العالي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا آتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الناس أتقوا ربكم ، الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، وأتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ .

أما بعد ،

بين يدي الرسالة

من حقك أيها القاريء الكريم أن تتساءل لماذا يسطر كاتب هذه الرسالة الصفحات تلو الصفحات في موضوع "الفوضى" أو " الفوضوية" ؟؟ وجواب هذا التساؤل الذي قد يسبق إلى ذهنك ، واضح وجلي لكل مُبصر لأثر هذا الداء.

* إن "الفوضى" كلمة يتبرأ منها عقلاء الناس – مسلمهم وكافرهم ، وعالمهم وجاهلهم – ويتفق الجميع على أنها صفة مذمومة ، وعاقبتها خسائر عظيمة يجنيها صاحبها غداً أو بعد غد ، فـ"الفوضى" تعني بعثرة الأوراق ، وعدم الانضباط وتضييع الواجبات ، والتفريط في كل شيء..

و"الرجل الفوضوي" تراه لا يُحسنُ في أموره كلها ، وكذلك "المرأة الفوضوية" تجدها تتخبط في أمورها فضلاً عن أمور غيرها فتضيعُ وتُضيع ..

* أنظر إلى أدراج مكتبك لترى الفوضى التي حلت به من قصاصات متناثرة وسجلات مُبعثرة ، كأني بك ستشمئز لذلك ، وتسارع لترتيب كل شيء في وضعه الصحيح، هذا الذي يرتضيه العقلاء !! فكيف بحياة المسلم – وبالذات الداعية إلى الله – ألا يستحق مثل هذا الجهد؟ ألا تستحق هذه النفس أن نتعهد شئونها بين الحين والحين لنرى ما عراها من اضطراب فنزيله ، وما لحقها من إثم فننفيه عنها ! ألا تستحق هذه النفس أن نعيد النظر فيما أصابها من غُنْم أو غُرمْ ؟ وأن نُرجعَ إليها توازنها واعتدالها كلما واجهتها الأزمات وهزَّتها الفتن في هذه الدنيا المائجة ؟

إن النفس إن تُركت للفوضى فإنها آتية عليها لا محالة ، وعندئذ تنفرط المشاعر العاطفية والعقلية كما تنفرط حبَّات العقد إذا انقطع سِلكُه ، وهذا ليس شأن الصالحين بل هو شأن ﴿ .. من أغفلنا قلبَه عن ذِكرِنا وأتبعَ هواه وكان أمرُهُ فُرطًا ﴾ .

وحسبي في هذه الرسالة "الفوضوية في حياتنا" أن أكشف مفاسد ومظاهر هذه الصفة الذميمة ، وأبين أسباب الابتلاء بها ، ثم أُتبع ذلك بوصايا أهل التربية والتجربة في علاج هذا المرض وسُبل رفعه ودفعه .. ولست أزعم الكمال في ذلك ، فالموضوع واسع وقابل للزيادة ، وجزى الله خيراً من ساعدني وبارك الله فيمن أهدى لي نصيحة تجبر كسر هذه الرسالة وتزيل عوارها في طبعة قادمة بأذن الله ، اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا إنك سميع مجيب الدعاء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

عادل بن محمد العبد العالي

إمام وخطيب جامع السلام

الدمام – ص.ب ٢٣١٧

تعريف "الفوضوية"

الفوضى في اللغة تطلق على معنيين هما :

١- "اختلاط الأمور بعضها ببعض ، يقال : نعام فوضى أي مختلط بعضه ببعض، ويقال : أموالهم فوضى بينهم، أي هم شركاء فيها .

٢- والتساوي في الأمر أو الرتبة ، يقال : قوم فوضى أي متساوون لا رئيس لهم . .

قال الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا "(١)

* ويطلق على الفوضى "الضوضا" جاء في لسان العرب عن أبي زيد قوله : القوم في ضوضا أمرهم وفي ضوضا فيما بينهم إذا كانوا مختلطين فيلبس هذا ثوب هذا ، ويأكل هذا طعام هذا . .(٢)

* ويرادف الفوضى "العبث" كما قال هود عليه السلام لقوم عاد ﴿ أتبنون بكل ريعٍ أيةً تعبثون ﴾ .

والفوضوية : تعني خلط الأمور بعضها ببعض فيختلط الحق بالباطل والمهم بالتافه ، والجد بالهزل ، ويُنظرُ اليها على أنها بدرجة واحدة .

* ومرادنا بـ "الفوضوية" في ثنايا هذه الرسالة ، المعنى الذي قرره الدكتور ناصر العمر في رسالته "الفتور" : «الفوضوية في العمل فلا هدف محدد ، ولا عمل متقن ، أعماله - أي الفوضوي - ارتجالاً ، يبدأ في هذا العمل ثم يتركه ، ويشرع في هذا الأمر ولا يتمه ويسير في هذا الطريق ثم يتحول عنه ، وهكذا دواليك »(٣).

---

(١) الصحاح في اللغة ، والمعجم الوجيز ، بتصرف عن آفات على الطريق للدكتور السيد نوح.

(٢) عن رسالة هذه نصيحتي ، فيحان الغربي ، صفحة ٣٢.

(٣) الفتور ، المظاهر ، الأسباب ، العلاج ، صفحة ٤٠ ، دار الوطن.

مفاسد الفوضوية

لا شك أن للفوضى آثاراً سيئة في حياة المسلم ، ومن ابتلى بهذا الداء فإنه سيعيش غارقاً في مفسدة أو أكثر بحسب حياته ودرجة فوضويته، ومفاسد الفوضى كثيرة ، من أعظمها :-

١- ضياع الأوقات والطاقات :

فإن الفوضوي تذهب عليه الأوقات وهو يتخبط في أحواله ، تطيش أفعاله في كل مكان ، وتمر عليه الساعات هدراً دون أن يلتفت إلى ذلك أو يتحسر عليه ، ويصدق عليه قول الرسول ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ » .

فالفوضوي في قمة الخسران ، فلم يستغل شبابه قبل هرمه ولا صحته قبل سقمه ولا غناه قبل فقره ، ولا فراغه قبل شغله ، ولا حياته قبل موته .

وهو في ذلك يعيش عقوقاً لوقته وظلماً لنفسه كما قال أحد الحكماء: « من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد آثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه » .

٢- بعثرة الجهود ..

إن الأمة الإسلامية تحتاج إلى جهود أهلها بعامة ، فالثغرات كثيرة ، ومواضع الضعف متفرقة ، وكلُ مسلم مطالب ومسؤول عن هذا الدين ، ولما كان الأمر بهذا الشأن كان تخبط الفوضويون بعثرة للجهود ، وإهداراً للاهتمامات ، ثم إن الواقع يشهد أن الفوضوي يرُبك الآخرين ، ويشعل الحرائق عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيسارعون لبذل الجهود العظيمة لحل ما تسبب من مشاكل ، وليطفئوا تلك الفتن التي أشعلها ، أليست هذه الجهود لو بُذلت في غير ذلك لكان فيها للإسلام خير كثير ؟

٣- الفشل الذريع :

الفوضى تعني الفشل ، والفوضوي إنما هو واقف في محله ، أو يتحرك حركة بطيئة لا تسمن ولا تغني من جوع ، فهل يعقل بعد ذلك أن يفوز بنجاح حقيقي إنها سنة ربانية : « العمل المنظم المتقن يتطور ويرتقي ، والعمل الفوضوي يتدهور وينهري »

من غرس الحنظل لا يرتجي أن يجني السكر من غرسته

٤- إيغال الصدور

ذلك أن الفوضوي يتدخل في صلاحية الآخرين أو يقصر في حقهم ، فلا يرعى ضوابط شرعية ، ولا آداب اجتماعية ، فتكون العاقبة من بعد النفور والقطيعة ، الأمر الذي يؤدي إلى الفرقة والتمزق والتنازع ، وقد قال عز وجل ﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا ﴾ ، وهذا التخبط نوع من الظلم الذي حرمه الله تعالى كما في الحديث القدسي « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . . » .

وليس بعد الظلم إلا إنفصام عرى الأخوة بين المتحابين وقد يستفحل الأمر إلى وحشة بينهم وجفاء وقد قال ﷺ : « ما توادّ اثنان في الله عز وجل ، أو في الإسلام فُرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما » .

٥- الفتور والانقطاع :

ذلك أن الفوضوي لا يرى ثماراً تشجعه على مواصلة الطريق ، بل بالضد من ذلك يشعر بالإفلاس ، وتتوالى عليه الاتهامات بالإهمال أو عدم الإتقان ، فتكون نهايته الفترة يعقبها توقف وانقطاع .

٦- فقدان الحكمة في التعامل مع الإمور :

« . . فعدم تحديد الأهداف ورسمها بدقة ، يؤدي إلى آنية التفكير وموسمية العمل ، وهذه هي "الفوضوية" بعينها ، وهذا الأمر لا ينشأ عادة إلا من النظرة السطحية للأمور ، والوقوف عند ظواهر الأحداث دون النظر في أسبابها ، ومآلاتها وآثارها ، والنتيجة الطبيعية لاتخاذ القرار ، والموقف من الحدث ، هو عدم تطابق ما يُتخذ من قرار مع ما يستوحيه الحدث ، وبالتالي يجانب الحكمة ، لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه . . »[١] .

---

(١) الحكمة : د. ناصر العمر ، صفحة ٥٥ ، دار الوطن (بتصرف يسير) .

صور من الفوضوية

١- الفوضى في طلب العلم :

إن أعظم الفوضى، الفوضى في طلب العلم ، ففيها الفتوى على الله بغير علم ، وفيها إضاعة للجهد وإضاعة للوقت والمال ،"فتجد الفوضوي يقرأ كل ما يقع في يده وقد تكون – هذه الكتب – إثمها أكبر من نفعها ، ويُضيع ساعات بل أيام في جهد لاينفع في الدنيا ولا في الآخرة ، وينفق أمواله على كل كتاب تقع عليه عيناه فتتراكم عليه الكتب وتزداد فيعجز عن تمييز غثها من سمينها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : "**ومن أعماه الله لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا** "[١]

ومن الفوضوية في طلب العلم أن يشرع أحدهم في تلقي شرح متن من المتون أو كتاب من الكتب عند أحد المشايخ ، ثم ينتقل بعد حضوره لدروس معدودة إلى شيخ آخر وشرح لكتاب آخر ، ثم ينتقل إلى غيرهما وهكذا . .

ومن الفوضوية في تلقي العقيدة ، أخذها من علماء أهل السنة والمبتدعة دون خلفية علمية يمحص فيها الحق من الباطل ، ويزعم البعض أن في ذلك توسيعاً للأفق ، وشمولية في التلقي ، وتجنباً للتقليد، وهذا الزعم من نتاج الفوضوية ولو سُميت بغير أسمها . . وقريب من ذلك من يزعم أن مذهبه واسع فهو يقطف من المذاهب الأربعة دون تقديم لأحدهما على الآخر ، وهذا المسلك إن سلكه طالب علم عنده من الحصيلة الشرعية ما تمكنه من اتباع الدليل والترجيح بين الأقوال فهو في حقه منهج مُسدد ، لا تثريب عليه في سلوكه والدعوة إليه ، أما الجاهل الفوضوي الذي يتتبع الرخص بين المذاهب أو يخبط خبط عشواء في هذا المذهب وذاك ، فمسلكه خطير وعاقبته وخيمة ، وقد تكلم في ذلك علماء السلف وبينوا شديد قبحه ، ومن ذلك ما قاله سليمان التيمي – رحمه الله – : « **لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . .** »[٢].

ونقل الشاطبي عن ابن حزم أنه حكى الإجماع على أن تتبع رخص المذاهب بغير مستند

---

(١) الفوضى في طلب العلم ، عبد العزيز السدحان ، صفحة ٢٤ (بتصرف يسير)

(٢) جامع بيان العلم (٢ / ٩١،٩٢) من "زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء" ، جاسم الدوسري صفحة ٢٧

شرعي فسقٌ لا يحل »[١]

ومن الفوضوية في طلب العلم ، العشوائية في تعلم العلم ، فقد يؤخر الأصول ويهتم بالفروع وقد يقدم ألة العلم على الكتاب والسنة ، وهكذا فهو كحاطب ليل يجمع الغث مع السمين والحقير إلى العظيم، وهذه طريقة لا يرتضيها الربانيون الذين قال الله فيهم ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾، قال مجاهد رحمه الله : « هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، فهم أهل الأمر والنهي . . »[٢] .

٢- الفوضوية في التعامل مع الأوقات :

لهذا النوع من الفوضوية مظاهر كثيرة تدل عليها أهمها :

١) إعطاء العمل البسيط فوق ما يستحق من الجهد والوقت .

٢) تضييع الساعات الطوال بغير عمل ألبته .

٣) تراكم أكثر من عمل في وقت واحد ، بل في لحظة واحدة . .[٣]

٤) قتل الأوقات في أمور تافهة هامشية .

٥) الخطوات اليومية تمضي بلا تخطيط ولا تدقيق، تتقاذفها المصادفة والإرتجالية .

وهذه المظاهر قد تراها في البيوت وبين الموظفين، وقد يتلبس بها بعض الدعاة وليس من المبالغة أن يقال إن الفوضوية في التعامل مع الأوقات مما عمَّ وطمْ ، بل لايكاد يسلم منها أحد إلا من رحم الله وقليل ماهم .

٣- الفوضوية في الصحبة والزيارة :

يتفق الجميع على أن للصحبة منافعاً كثيرة إذا أحسن المرء اختيار من يصاحب ، ولكن مع ذلك كله ، ينبغي أن ندرك أن كثرة الأصحاب تعني الخلطة المستمرة ، والمجالس العديدة ، والواقع يشهد بأن الناس يختلفون في عقولهم واهتماماتهم ، وهذا يعني أن

---

(١) الموافقات (٤ / ١٣٤) من المصدر السابق صفحة ٢٩

(٢) المنطلق ، محمد أحمد الراشد ، صفحة ٢٥٤ ، مؤسسة الرسالة

(٣) آفات على الطريق ، الدكتور السيد نوح ، (٣ / ١٠٢) ، دار الوفاء

من جالسهم على بساطة في ثقافته العلمية ، سيعيش معهم كالإناء كلٌ يصبّ فيه ما يشاء من خير أو شر . ويتبع ذلك الفوضوية في الزيارة ، فهي مستمرة ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهارا ، وقد اشتكى من ذلك من قبل **الإمام ابن الجوزي** فقال رحمه الله : " لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس ، ويجرون فيه أحاديث الناس ، وما لا يعني ، ويتخلله غيبة ، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور ، وتشوق إليه ، واستوحش من الوحدة ، خصوصاً في أيام التهاني ، والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.. "[1] وقريب من الفوضوية في الزيارات ، الفوضوية في المكالمات الهاتفية ، وهذا أمر معروف مشهود .

٤- الفوضوية في القيام بالعبادات :

الفوضوي لايستقر على أمر إلا وينتقل إلى غيره ، وهكذا شأنه في العبادات فيعيش مع تلاوة القرآن أياماً ثم يتركه حتى يصدق عليه أنه هاجرٌ للقرآن ، ويركن إلى قيام الليل ليالٍ ثم يدعه وكأنه لا يعرفه ، بل يتعدى الأمر إلى الفرائض فيؤخر الصلوات عن وقتها وقد يصليها منفرداً ، وكذا أمره في اداء مناسك الحج .. فوضوية تكتسح الواجبات والمستحبات ، وهو في غفلة من أمره ، لايدرك ذلك البته..

٥- الفوضوية في الدعوة إلى الله :

لا تزال الصحوة الإسلامية تتجرع المُرَّ ، وتلقى الويلات من "الفوضوية" التي يتخبط بها بعض الدعاة ، **خطط تربوية تنهار ، وأعمال خيرية تبوء بالفشل ، وأخوة ايمانية تنقطع** ، وعندها يفرح بذلك المتربصون ويجدون في تتابع الزلأت فرصة للشماتة والازدراء ، ثم يزداد الأمر سُوْءاً حينما يجد هؤلاء ما يهيء لهم التضيق والحصار على كلٌ ما هو نشاط دعوي ، بل وتشديد القبضة عليه .

والدعاة في غنى عن ذلك ، ولكنها الفوضى ما كانت في شيء إلا افسدته، ومن

---

(١) صيد الخاطر ، نقلاً من المصدر السابق (٣/١٢٧)

الفوضوية في الدعوة إلى الله أن تجد "الدعاة دعاة فكرة مجردة ، تراهم كأروع الدعاة فهماً للاسلام وعقيدته وأنظمته وقوانينه، وأكثرهم قراءة للكتب ، ولعلهم من اشد المسلمين حماسة ، وأخشعهم في الصلاة ، ولكنهم ينفرون من التقيد بخطة ونظام ، ما وقر في نفوسهم اعتقدوه ، وما تبين لهم من طرق سلكوها ، فهم قادة نفسهم لا يبالون أن وافقت أعمالهم الدعاة الآخرين ، أم خالفوها منفردين . .أولئك أبعد الناس عن الوصول إلى ثمرة إيجابية ، واولئك هم المراوحون » .

ومنطق ارتجال الأعمال الدعوية بصفة فردية لا يلتقي مع قول الله تعالى ﴿ وتعانوا على البر والتقوى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . . ﴾ .

ومن الفوضوية في حياة الداعية أن تراه يتخبط أياماً في صناعة الرجال وتربية الشباب ثم ينقطع ويلتفت إلى الأعمال الإغاثية ،، ثم لا يلبث أن ينتقل بلا مقدمات إلى عمل دعوي آخر . . وهكذا !!

عند ذلك هل تُرتجى ثمرة يانعة من أشجار انقطعت عنها السقاية ولم تجد من يرعاها ؟.

ومن الفوضوية في الدعوة إلى الله أن تجد الداعية يربي أجيالاً على العشوائية بجميع صورها . . ولذلك مظاهر كثيرة أهمها :-

١) العشوائية في البرامج التربوية المطروحة .

٢) العشوائية في تجميع الشباب.

٣) العشوائية في اختيار الدروس الملقاة .

٤) الإهمال الفظيع للتربية الإيمانية

٥) العشوائية في الأساليب الدعوية .

ولذلك لا عجب أن ترى حشوداً من الشباب يسلكون الفوضوية لا يدركون عواقبها ، وينفرون من القيود الصحيحة . . فعلى هذا تربوا لسنوات طوال ، "ومن شابه مربيه فما ظلم " . . وهذا النتاج الفوضوي وزره على المُفرط الأول الذي ضيع الأمانة ولم يرعها حق رعايتها ، وهو مسؤول عن ذلك يوم العرض الأكبر فـ« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . ».

أما عاقبة هذه "الفوضوية" في المجالات الدعوية فهي الفشل والانهيار "فإن مثل هذا العمل لا يقف على أرض صلبة ، ولا له احتمال دوام ، بل هو الفورة المرتجلة التي ترتفع ومعها اثقال هبوطها ، والمفروض في الدعاة أن يكونوا (أعمق فكراً ، وابعد نظراً ، من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر ، فلا يغوصوا إلى أعماقها ، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها) ، والجماعة [إذا كانت] هي مفككة الاوصال ، مضطربة النظام ، ضعيفة العقيدة ، خامدة الايمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك " إلا أن يشاء الله.

٦- الفوضوية في الأعمال الدنيوية :

المشاركة في أي عمل جماعي سواءٌ في شركة من الشركات أو في قفص الزوجية بين الزوج وزوجته وأولاده .. كل ذلك لا بد أن يحاط بسياج النظام والإنضباط ، فلكل دوره في هذا التجمع ولكل قدرته ، والفوضوي يضرب بهذه الأمور عرض الحائط فيعيش متفلتاً من القيود لا يأتمر بامر ولا ينتهي بنهي .. **تراه إن كان موظفاً فوضوياً في كل شيء فهو :-**

١) يعيش فوضوية في الحضور والخروج لا يتقيد بالدوام الوظيفي.

٢) ويعيش فوضوية في اداء واجباته الوظيفية ، فالمعاملات التي بين يديه مبعثرة ، والسجلات أمام عينيه متناثرة .

٣) ويعيش فوضوية في اداء حقوق الناس فيؤخر المتقدم ويقدم المتاخر لا يتقيد بصادر ولا وارد.

٤) ويعيش فوضوية في القيام بصلاحياته فيتدخل في ما لا يعنيه ، وقد يتطاول على مهام مدير قسمه ، أو ينفذ قراراً هو من شئون قسم آخر في تلكم الشركة .

إلى غير ذلك من صور يعرفها أهل هذا الشان وذاقوا مرارتها كثيرا

* **وكذلك في الحياة الزوجية** ، تتكاثر المناوشات وتستفحل المشكلات بين الزوجين بسبب فوضوية الزوج المستمرة فتجده فوضوياً في كل شيء فهو :

١) فوضويٌ في علاقاته الاجتماعية مفرط في زيارة والديه وأرحامه وزيارة أهل زوجته ، وبالضد من ذلك مكثرٌ من دعوة الآخرين من أصحابه لولائم نهارية ومسائية في بيته ، مما يسبب الكلل والملل لزوجته فتعتريها المشقة ويأتيها الحزن حتى تتفطر كبدها وتدمع عينها، بعدها تنفجر باكية لا يسعفها صبرها فقد نفذ مع هذه الفوضوية المزعجة كُلَّ شيء.

٢) وفوضوي في مصروفاته المالية ، فلا تمر أياماً على قبض الراتب إلا وقد فرقه شذر مذر ، أنفقه في أمور تافهة ومشتريات هو في غنى عنها ، ثم تأتي الأيام بعد ذلك بسبع عِجاف يعاني فيها الحاجة الماسة له ولأهله ، فيسارع بذُلٍّ وهوانٍ للاستدانة من أصحابه أو أخواته وقد كان في غنى عن ذلك كله، لولا هذا الداء العضال "الفوضوية في الإنفاق" .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

٣) وفوضوي في مراعاته لأبنائه فلم يجدوا منه تربية إيمانية ولم يتعلموا منه أخلاق الرجال ، ويستغل إهماله أهل الإفساد لإفساد هؤلاء الصبية . وتجد هذا الفوضوي لايقف مع أبنائه في الامتحانات ، ولا في غيرها من الأزمات فإذا ظهرت معالم الفشل في حياتهم ، وبرزت ظاهرة العقوق في تصرفاتهم ، أعاب الزمان ، وتضجر من الأقدار ، ولا عيب إلا فوضوية ركبها تأتي بذلك وأكثر . .

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير حق ولو نطقَ الزمانُ بنا هجانا

٧- الفوضوية في حياة المرأة :

المرأة قد تعيش حياة فوضوية تُهلك الحرثَ والنسلَ، وقد تنتهي بها هذه الفوضوية إلى امرأة مُطلقة خسرت زوجها وهدمت بيتها وفارقت ابناءها ، والفوضى في حياة المرأة لها مظاهر عديدة . . منها :

١) الفوضوية في البرنامج اليومي ، فتسهر الليالي ثم تتبع ذلك بنوم إلى ساعات متأخرة من النهار ، فلا تحسن في القيام بواجباتها ، بل تقصير يتبعه تقصير ، وعند ذلك تنبت بذرة التذمر عند الزوج و تكون المشكلات والمشاحنات بعد أن لم تكن .

٢) الفوضوية في ترتيب بيتها وتهيئته لراحة زوجها وابنائها .
٣) الفوضوية في التجمل لزوجها فهيئتها رثة ولباسها مبتذل . .
٤) الفوضوية في الاتصالات والزيارات ، فهي ما بين مكالمات هاتفية تأخذ عليها الأوقات إلى زيارات عابثة لهذه وتلك من الصديقات والزميلات .
٥) الفوضوية في تربية أولادها ، ومتابعة بناتها، فيضيع هؤلاء بين غياب أبيهم وإهمال أمهم إلا أن يرحَمهم الله برحمته .

٨- الفوضوية في التفكير :

إن المرء ليعجب من قوم يتقلبون في مزاجية رهيبة ، فما يستحسونه في يوم يستقبحونه في اليوم الآخر ، وما مدحوه بالأمس يذمونه في الغد ، وهذه "المزاجية " هي نوع من الفوضوية في التفكير ولها صورٌ عديدة . . منها :

١) الإقبال وبشدة على شخص قد يكون شاعراً أو عالماً أو مفكراً لاثناء إلا عليه ولا مدح إلا له ،ثم تنقلب الموازين فإذا بهذا الشخص أصبح مذموماً لا خير فيه بل يجب التحذير منه !!

٢) الإقبال وبحماس على أسلوب من الأساليب الإدارية أو الدعوية ، وتبني هذا الأسلوب وفرضه على الآخرين ، ثم تنقلب الموازين ، فإذا بهذا الفوضوي يشن حرباً على هذا الأسلوب ويكيل له الانتقادات ، ويقف موقف الخصم لكل من تبناه وسار عليه .

٣) الفوضوية في طرح الأفكار فلا رابط بين المواضيع ، بل يعيش المستمع لحظات حرجة، ويبقى في حيرة أمام هذا الحشد الهائل من الأفكار المتناثرة ، والتي بمجموعها أصبحت لغزاً لا يطيق أحدٌ فك رموزه !!

والفوضوية في التفكير لا تعني أن يستحسن أحدنا أمراً أو أسلوبا ثم يكتشف سلبياته من خلال إدراكه لحقيقته بعد تجربته فهذا أمرٌ لا غبار عليه، ولكن "الفوضوية" تظهر جلية في تغيير المواقف مع عدم وجود أسباب صحيحة وإنما هي "المزاجية المتقلبة" .

أسباب الفوضوية

للفوضوية أسباب متنوعة ، إذا سلم المسلم من بعضها فقلّ أن يسلم من بعضها الآخر ، وفي هذا الفصل سأشير إلى أسباب عامة من تلبس بها أو باحدها ركب الفوضوية مسلكاً ومنهاجاً إلا أن يشاء الله.. من هذه الأسباب ما يلي :-

١- التشتت الذهني :

ذلك أن التشتت يعني عدم القدرة على إتخاذ قرار صحيح لحل المعضلات أو للتخلص من المشكلات ، بل إن التشتت في الذهن يجعل صاحبه عاجزاً عن القيام بالواجبات .. وإنما يُبتلى المرء بالتشتت لعدة أمور منها :-

١) منكم من يريد الدنيا :

قال ﷺ : « من كانت الدنيا همَّه جعل الله فقَره بين عينيه ، وفرق عليه شملَهُ ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له » رواه الترمذي

٢) القلق وغلبة الهموم :

ذلك أن هذين الأمرين يحطمان العمالقة ، كما قال الأول

والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويُشيب ناصية الصبيّ ويُهرمُ

وكما قال أحدهم وهو "ويليس كاريير" :(إنَّ شرَّ آثار القلق تبديده القدرة على التركيز الذهني ، فنحن عندما نقلق تتشتَّت أفكارنا ، ونعجز عن حسم المشكلات واتخاذ قرار فيها) (١).

إذا المرء لم يَحتَلْ وقد جد جِدُّه أضـــــاع وقاسى أمرَه وهو مُدْبرُ
ولكنْ أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطبُ إلا وهو للقصدُ مُبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما عاش حُـولٌ إذا سُـــدَّ منه منخر جـــاس منخرُ

٣) الجَزَع ونفاذ الصبر :

ذلك أن "الرجل الضعيف قد يفْزُعه المُصاب ويشتَّت أفكاره ، فبدلاً من أن يختصر متاعبه بمجابهة الواقع والاستعداد لقبوله ، يسترسل مع الأحزان التي تضاعف كآبته ولا

---

(١) جدد حياتك ، محمد الغزالي ، صفحة ٢٩ ، دار القلم.

تغيرْ شيئاً "[١] ومن كانت هذه حاله فكأنما هو في غيبوبة إن تحرك خَبَطَ خبط عشواء وإن تكلم فكذلك حاله .

٤) **كثرة الخلطة :**

قال ابن القيم : " فأما ما تؤثره كثرة الخلطة : فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسودّ ، ويوجب له تشتتا وتفرقاً ، وهما وغماً ، وضعفاً ، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء ، واضاعة مصالحه والاشتغال عنها بهم وبامورهم ، وتَقَسُّم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم . فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟ "[٢]

٢- ضعف التربية

إن من أبرز أسباب الفوضوية ضعف التربية في أصل نشأة ذلك "الفوضوي" والواقع يشهد أن أكثر الذين تربوا على الدلال وعدم العتاب على الأخطاء إن اشاروا إلى شيء أخذوه، وإن كرهوا أمراً تركوه .. هؤلاء الذين عاشوا تربية مدللة تأتي عليهم الأيام من بعد بمسئوليات جسام ، لا يدرون كيف يتعاملون معها فهم اليوم يحاولون التخلص من مسئولية معينة ، وفي الغد يحاولون التملص من تكليف كُلفوا به ، وتراهم هكذا في فوضوية من أمرهم لا يحسنون إدارة أمورهم لأنهم اعتادوا أن يُدير أمرهم غيرهم.

٣- التأثر بالجليس الفوضوي:

وهذا السبب له صور عديدة نذكر منها :

١) **الأسرة الفوضوية** :فقد ينشأ الإنسان في أسرة فوضوية لا تعطي للنظام أدنى رعاية أو أهمية ، وتكون النتيجة التأثر ، والتأثر الشديد بهذا الجو ، أو بهذا المحيط من الفوضى ، فتصبح الفوضوية لازمة من لوازم حياته.

٢) **الصاحب الفوضوي** : فقد يُبتلى المرء بصحبة ديدنهم الفوضوية في كل شيء فهم غارقون في التخبط ، لا يتقيدون بشيء ولا يلتزمون بنظام فإذا به يتأثر بهم ، ويصاب بعدها بعدوى الفوضوية فتصبح خُلقاً لازماً له في حياته وقد أحسن القائل:

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

---

(١) المصدر السابق ، صفحة ٨١

(٢) مدارج السالكين ، (١/ ٤٨٩) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ .

٤- الحماس غير المنضبط :

للحماس أثرٌ بليغ على قناعات الناس ، ومن كان متقلباً في عواطفه ، كان فوضوياً لاينضبط في مواقفه ، لذلك بعض الناس يبدأ في العمل ثم يتحول عنه ، ويتعرف على مجموعة من طلاب العلم [ويتحمس لهم] ثم يهجرهم إلى غيرهم ، ويقرأ على شيخ [ويعده ابن تيمية زمانه] ثم ينقطع عنه بعد حين ، يشرع في كتاب [ويتحمس له] ولايتمه وتستمر حاله هكذا ، مُنبتاً ، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، لا هو مع العير ولا مع النفير، وهذا سرعان ما يخبوا حماسه ، وتقف انفاسه . . » (١)

وخلاصة القول ، أن الحماس إذا كان مبنياً على عواطف غير مؤصلة ومواقف لا تستند إلى برهان ، فإنه لا ينضبط صاحبه ، بل يرتع في فوضوية لا يقر له قرار يقذفه الحماس غيرَ المنضبط يمنه ويسره ، فهو كما قال الأول :

يمانياً إن لا قيت ذا يمن وإن لاقيت معداً فعدنان

٥- ضعف الإرادة واتباع الهوى

« . .من ظواهر خُلق قوة الإرادة الجدّ في الأمور ، والأخذ فيها بالحزم، والنظام في الأعمال والبعد عن كل فوضى .

أما ضعيف الإرادة فإنه يتخاذل أمام ميل نفسه إلى الكسل والتباطؤ في العمل ، فلا يكون جاداً مجتهداً في أموره ، ولا يكون حازماً في تنفيذ أعماله ، وهو يميل غالباً إلى الهزل لستر حالة النقص التي يعاني منها ، ولتغطية ضعف إرادته أمام هوى نفسه إلى الكسل ، وطبيعي أن لا يحب النظام في أعماله ، لأن النظام يتطلب جداً وحزماً ، فالجادّ الحازم العاقل لابد أن يرتب أعماله وواجباته وفق نظام عمل سليم ، يمنع التزاحم والتعارض والتصادم، ويملأ فراغ الوقت بتوزيع متناسق للعمل ، وتقسيم عادل للوقت ، بخلاف الذي لاجد ولاحزم عنده بسبب ضعف إرادته أمام ميل نفسه إلى الكسل ، فمن أصعب الصعاب لديه أن يرتب أعماله وواجباته ، وفق نظام عمل سليم يتقيد بتنفيذه ، لأن هذا

---

(١) الفتور . ناصر العمر . صفحة ٨٢ (بتصرف)

سيفوت على هوى نفسه فرصة الإخلاد إلى الراحة ، متى شاء له هذا الهوى . . »[١]

أأبيتُ سهرانَ الدجى وتبيته نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

وقد أحسن "اقبال" يوم أن قال :

ليس هذا العقل ذو الوهـ ـــــن حرياً بالإمامة

فحياة الظن والتخمـــين ضعف وسقامه [٢]

٦- عدم المتابعة والمحاسبة :

فقد يُحرمُ المرء ممن يتابعه ، ويحاسبه على عمله ، وعلى خطواته أولاً بأول وتكون النتيجة "الفوضوية" بجميع صورها ، وهذا سبب معروف مشهود في حياة الطلاب والموظفين والابناء والعاملين ، ومتى غاب الرقيب إنعدم الإنضباط ، وشاع الإهمال ، واستقرت الاتكالية وكان الهروب من المسئوليات . . إلخ

٧- التكاسل والتسويف :

كثيراً ما يحب الإنسان أن ينتهي من أعمالٍ متناثرة ،ولكنه يقرن هذا الأمل بتساقط الفُرص والمناسبات عليه ، وتناثر البركات بين يديه .

والحق أنه في هذا التسويف يبني قصوراً من الأوهام ، ويتحرى أمالاً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . . وهكذا النفس الكسولة من استسلم لها غرق في أحلام اليقظة وضاع في مهاوي الخديعة . .

هي النفس إن أنت سامحتـــها رمت بك أقصى مهاوى الخديعة

فإن شئت فوزاً فناقض هـــواها وإن واصلتك أجزها القطيعـــة

ولاتعبـــأن بميعـــادهـــــا فميعادها كسراب بقيعـــة [٣]

وتتضح علاقة التسويف : "بالفوضوية" حينما نعلم أن تراكم الواجبات إلى وقت ضيق لا يتسع لها يجعل من المرء في عشوائية يضرب في كلٍ واد بسهم ، فلا يتقن الاعمال ولا يحسن التصرفات وعند ذلك يحصل التفريط في كل شيء.

---

(١) الاخلاق الاسلامية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، (٢ / ١٥٥) ، دار القلم

(٢) ديوان ضرب الكليم ،

(٣) نفح الطيب ٧ / ٣٦٢ ،

٨- عدم وضوح الهدف :

إن من أهم الأسباب الموصلة إلى "فوضوية" لا يقر لها قرار ، أن ترى التحركات الحاضرة والخطوات القادمة ، تقوم دون أهداف واضحة أو محددة ، ولكنهم رأوا الناس يعملون فعملوا، وقد تكون فترة طفرة أو حماس لسبب من الأسباب ، ولذلك « تجد الأعمال مع ضخامتها غير موجهة ولا مؤصلة ، ناشئة عن تفكير آني ، وردود أفعال ، يبدأ في هذا العمل ولا يتمه ، ويشرع في هذا الأمر ثم لا يستمر فيه . . »[١] فهو لا يدري لماذا يسير؟ ولا يدري كيف يسير ؟ والجهل بهذين الأمرين مصيبة وأي مصيبة . .

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

٩- عدم فقه الأولويات :

"إن عدم إدراك فقه الأولويات يجعل المرء في حيرة من أمره، فتتزاحم أمامه مجموعة من المصالح والأهداف ،حتي تبدو متعارضة يصعب القيام بها جميعاً ، فيقدم هذه ويؤخر تلك دون ضابط أو قيد ، ومن ثم تنشأ عن هذه مجموعة من المشكلات ينوء بحملها ، من أعظمها "الفوضوية" سببها تقديم المهم على الأهم ، والتكميلي على الضروري، والمندوب على الواجب . ."[٢]

١٠- الصوارف الطارئه :

ذلك أن الإنسان إذا اشتغل ذهنه بأمر وأصيب بالقلق تجاه ، فإنه لن يستطيع تدارك خطواته القادمة والسير على ما خططه لنفسه من قبل ، فمصيبته هذه تذهب بعقله وتغلب على همّه . . فكيف إذا تتابعت هذه المصائب وتكاثرت هذه الصوارف ؟؟ لاشك أن المرء سيصاب "بالفوضوية" ، ومن أمثلة هذه الصوارف :

١) موت قريب

٢) المشاكل الزوجية

٣) الإبتلاء بالأمراض

٤) الخسارة المالية (الفقر)

---

(١) الفتور ، ناصر العمر ، صفحة ٥٤،

(٢) الفتور ، صفحة ٨٦ (بتصرف يسير).

٥) قدوم الضيوف الثقلاء . .

٦) ظلم الأصحاب

إلى غير ذلك من صوارف ، ويُضرب لذلك مثلاً ، برجل دخل داره وقد خطط لنفسه أن يقوم بمراجعة كتاب في مكتبته الخاصة، فلما سار خطوات إلى هدفه ، إذا بحريق في غرفة من الغرف فسارع لإطفاء هذه الحريق ، حتى إذا انقضت ، وذهب عنه الذعر وكاد أن يستريح ذهنه ، إذا بحريق آخر في غرفة أخرى – وبالطبع – سيسارع لإطفائها قبل أن تستفحل ، وبذلك ذهبت عليه الساعات لم يستطع فيها قضاء حاجته مع وضوح هدفه وسهولة عمله ، وهكذا هي الصوارف الطارئة تسبب الإرتباك وتنقل صاحبها إلى "فوضوية مزعجة" ينهارُ على اثرها تنظيم الأعمال والتصرفات .

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهمٌ وثان وثالث

١١- عدم توزيع الأعمال :

إذا كانت الأعمال متشعبة فإن هذا يعني صعوبة متابعتها فضلاً عن القيام بها ، وفي غفلة عن ذلك ، يظن البعض أن بوسعهم أن يفعلوا كل شيء حتى إذا أخذوا في هذه الأعمال، وجدوا أنهم لم ينجزوا شيئاً ، وصار أحدهم من أصحاب أنصاف أو أثلاث ، أو أرباع الأعمال ، كما قيل :

الذي يعمل كل شيء لا يعمل شيئاً ، وكفى بذلك "فوضوية"

ولهذا السبب أمثلة كثيرة في حياتنا . . منها :

١) **في مجال الأعمال الإدارية** يقوم بعض المسؤولين بمتابعة جميع الأعمال فلا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وبذلك يشعر بقية الموظفين ممن دونه أنهم لا يستطيعون إنهاء المعاملات ، ولايجدون مرونة في التحرك ، ويبقى الأمر اليسير في انتظار دوره الأسابيع الطوال حتى يصل إلى يدي هؤلاء المسؤولين ، وبعد تراكم هذه الأعمال تحصل "الفوضوية" التي أراد هؤلاء أن يفروا منها فوقعوا فيها . .

٢) **في مجال الحياة الزوجية** تتعطل كثير من أمور الزوجة والأبناء بسبب إصرار الزوج على متابعة كل شاردة وواردة في حاجات أسرته .

٣) **في مجال الأنشطة الدعوية والإغاثية** يحصل الركود والتأخر وقد تتوقف الدروس

والمحاضرات وقد تفسد المواد المُتبرع بها.. إلخ ، كل ذلك بسبب عدم توزيع الأعمال وإصرار المسؤول عن ذلك على أن يعمل كل شيء بيديه أوتحت ناظريه..

أما لماذا ينهج البعض هذه الطريقة ؟ فالجواب أنهم قد يحسنون الظن بجهودهم وقدرتهم أو أنهم لايثقون بالآخرين.

١٢- الإنفراد بالرأي وعدم المشورة :

"فقد ينطلق الإنسان يعمل حسبما تسنح له الفرصة ، معتمداً على رأيه دون الرجوع إلى أحد من ذوي الخبرة ، والتجربة ، والرأي ، ومشاورته فيما يريد ، وتكون العاقبة "الفوضوية" ، حيث يشتغل بثانويات الأمور ويضيع الأصول ، أو الأساس ، أو تتراكم عليه الأعمال فيقعد ولايعمل شيئاً بالمرة "(١)

١٣- المعاصي والذنوب :

قال ابن القيم – رحمه الله – : « وبالجملة ، فالعبد إذا أعرض عن الله، واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غبَّ إضاعتها يوم يقول : ﴿ ياليتني قدمت لحياتي ﴾.. »(٢)

(١) آفات على الطريق ، (٣/١٠٦) ، (بتصرف يسير).
(٢) الداء والدواء ، عن " آفات على الطريق " صفحة ١٠٨

علاج "الفوضوية"

" ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علمه ، وجهله من جهله و"الفوضوية" من أشد الأمراض المعنوية ، وتتأكد خطورته حينما لا يحسّ الانسان به ، فيقضي عليه ، كما تقضي بعض الأعراض على أصحابها حينما لا يدركون خطورتها فيتساهلون في علاجها أوّل الأمر ، فيصعب بعد ذلك تلافيها والقضاء عليها.

و"الفوضوية" طريق الفشل والسقوط ، ومن هنا تتأكد أهمية المبادرة إلي علاج هذا الداء، وعلاجه باتخاذ سبل الوقاية منه ابتداء ، وإما بعمل الأسباب التي تذهبه بعد وقوعه ، وأهم سبل العلاج تلافي أسبابه ، ذلك أننا إذا تلافينا أسباب "الفوضوية" أستطعنا بإذن الله أن نسلك المنهج الصحيح للنجاة منها" (١)

أما طرق العلاج فيمكن تلخيصها فيما يلي :-

أولاً : الوصايا العامة ..

١- اتق الله حيثما كنت :

فإن من تلمس التقوى في أقواله وأفعاله رزقه الله البركة وسدد خطاه وكانت له الهداية في أموره نعمة من الله وفضلاً.

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا.. ﴾ (الأنفال ، ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يُؤتكُم كِفلين من رحمته ويجعل لكم نُوراً تمشُون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ (الحديد ، ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾.

ومن تقوى الله ترك الذنوب والمعاصي التي تنزع البركة من الأعمال فتكن "الفوضوية" بعد أن لم تكن . وطريق الخلاص المبادرة إلى التوبة والإقلاع عنها إن وقع في شيء منها ،

---

(١) الفتور ، صفحة ٨٨ ، (بتصرف يسير).

مع الإكثار من الطاعات ، فإن ذلك يكون سبباً في بركة الوقت وسعة الرزق ، مصداقاً لقوله ﷺ : « من سره أن يبسط له في رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه »(١)
ومن تقوى الله أن تجعل الآخرة غايتك فإن كنت كذلك فإن الله سيجمع همك ولن يشتت عليك أمرك قال ﷺ : « من كانت الآخرةُ همَّه جعل الله غِناه في قلبه ، وجمع له شمله .. » الحديث (٢)

٢- الدعاء والإستعانة بالله :

جاءت الآيات أمرة بالدعاء والتضرع إلى الله وقد وعد سبحانه بالإجابة فقال تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾.

فعلى المسلم أن يلح على الله أن يبارك له في أعماله وأوقاته وأن يرزقه التوفيق والسداد في أمره كله ، وقد شرع رسول الله ﷺ دعاء الاستخارة للمسلم قبل اتخاذ قرار ما في أي أمر من الأمور ، ففي « صحيح البخاري » عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الإستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « إذا همّ أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسالك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويسمي حاجته– خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدُره لي ، ويسره لى ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، وأصرفني عنه ، وأقدُر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به » (٣)

وقد علم رسول الله ﷺ ، ابنته فاطمة أن تسأل الله إذا أصبحت وإذا أمست إلا يكلها إلى نفسها طرفة عين – قال عليه الصلاة والسلام : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، وأصلح لي

---

(١) رواه البخاري
(٢) رواه الترمذي
(٣) كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة

شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا »[١]

ومما يدخل في باب الدعاء الاستعانة بالله تعالى ، والعبد لا يمكنه أن يفعل شيئاً إلا بعونه تعالى ، فإن حُرم من ذلك خاب وخسر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده[٢]

٣- تفهم دعوة الشريعة إلى النظام وذم الفوضى :

ذم الله الفوضى والعبث ووبخ أهل النار على سيرهم العابث فقال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ « وكان قوم عاد يبنون في مرتفعات من الأرض مباني لاغرض لهم منها إلا أن تكون دالة على عظمتهم ، ولا غاية لهم منها إلا التفاخر ، فهي لا تؤوي ساكناً ولا تدفع بأساً ، فرأى الله هذا العمل منهم عبثاً ، والعبث ليس من شأن العلماء العقلاء ، فبلغهم ذلك رسولهم هود عليه السلام ، قال تعالى ﴿ أتبنون بكل ريع ءاية تعَبثُون ﴾.

أما توجيه الإسلام لتنظيم الأعمال وتوزيعها بعدل على الأوقات ، فموجود في كل العبادات الإسلامية المفروضة ، وفي معظم العبادات غير المفروضة فهي مشمولة بنظام عمل محدّد ، لا مجال فيه للفوضى . الصلاة مفروضة تؤدى بنظام تام في أوقاتها ، وفي حركاتها ، وفي أقوالها ، سواء أديت بصفة فردية أو بصفة جماعية وقد ثبت في الصحيح أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، والصوم يؤدى بنظام تام .. والحج يؤدى بنظام تام .. والزكاة تؤدى بنظام لا مجال فيه للفوضى.

وعقود المعاملات في الإسلام لها أنظمة يجب التقيد بها ، ولا يجوز الخروج عليها.

ويوم المسلم الملتزم بإسلامه موزّع وفق نظام يدخل في فقراته العبادات بأوقاتها المحددة ، والباقي ينظمه المسلم حسب حاجاته من العمل والراحة »[٣]

---

(١) صحيح الترغيب رقم (٦٥٤)

(٢) الفتور ، ناصر العمر ، صفحة ١٢١

(٣) الأخلاق الإسلامية ، حبنكة الميداني ، (٢/١٥٨) (باختصار يسير)

٤- صحبة من يحسن تنظيم شؤونه :

حينما يحرص المرء على مصاحبة المنظمين لشؤونهم يجد من نفسه أنه لا يطيق "الفوضوية"، وهذا من تأثره بمجالسة هؤلاء، ومن اقتدائه بهم و"المرء على دين خليله" وإنما يحصل التأثر بأمور :

١) أن يستشعر حلاوة النظام في حياة المنظمين لشؤونهم.

٢) أن يجد منهم النصيحة والعتاب حينما يرون منه فوضوية عابثة وإن كانت في أمر يسير.

وقد جرب هذه الطريقة الكثير من الناس ووجدوا فيها خيراً كثيراً ومن أمثلة ذلك :-

١) استفادة طلبة العلم النظام من شيوخهم من أهل العلم فالأوقات منظمة والمواعيد محددة وللاستنباط من الشريعة قواعد وضوابط . .الخ

٢) استفادة الموظفين من الموظف من أهل الخبرة والتجربة ممن يُحسن إدارة أعمال الوظيفة بنظام تام لا مجال للفوضى فيه أبداً.

٣) استفادة الزوجة من المتزوجات قديماً ممن يُحسنَّ إدارة بيوتهن وتربية أبنائهن .

والحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها ، والاستفادة من تجربة الآخرين هي طريقة العقلاء الذين يحفظون حياتهم من تجارب فاشلة تأخذ من أوقاتهم وطاقاتهم دون جدوى . قال العلامة جمال الدين القاسمي : (وأما التجارب) فإنها تستفاد من مخالطة للخلق ، ومجاري أحوالهم ، والعقل الغريزي ليس كافياً في تفهم مصالح الدين والدنيا ، وإنما تفيدها التجربة والممارسة، ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب ، فالصبي إذا اعتزل ، بقي غمراً جاهلاً ، بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب، وتحصل بقية التجارب بسماع الأحوال، وبالجهل يحبط العمل الكثير، وبالعلم يزكو العمل القليل ، ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل. . »[١].

---

(١) تهذيب موعظة المؤمنين ، جمال الدين القاسمي ، صفحة ١٣٤ ، دار ابن القيم ، ط ٢ .

٥- التأني وعدم الاستعجال :

الاستعجال : هو إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المرء في لحظة دون نظر في العواقب ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات ، أو للأساليب، والوسائل (١)

وما دام أن الاستعجال بهذه الصورة فمن الطبيعي أن تخرج النتائج فوضوية لا تنضبط بضابط ، فلم تقم هذه النتائج على تأصيل أصيل ولا على دراسة متانية، ومن إرتجى رفع الفوضوية عن نفسه فإنه مطالب أول ما يطالب بالتأني والنظر والتفكر في عواقب الخطوات القادمة قبل أن يخطوها ، وهذا من الصبر الذي دعا إليه الشرع

قال تعالى : ﴿ **واصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجراً جميلا** ﴾.

وقال تعالى : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾.

وكما عبر عنه عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – فقد أراد أن يعود بالحياة إلى هَدْي الخلفاء الأربعة ، وكان له ابن يقال له عبد الملك ، فيه فتوة ، وحماس ، وحيوية وتقى ، فأنكر على أبيه البطء ، وعدم الإسراع في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم فقال له يوماً « مالك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي ، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق » ، فكان جواب الأب الفقيه : « لا تعجل يا بني ، فان الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين ، وحرّمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة ، فيدعوه جملة ، فيكون من ذا فتنة » .. الخ " (٢)

والتاني يعني باختصار :

أولاً : عدم ارتجال القرارات والتصرفات .

ثانياً : التريث لإمعان النظر في الآثار والعواقب المترتبة على فعل الفعل أو قول القول أو تركهما ..

وأخيراً : وضع الشيء في موضعه الصحيح.

---

(١) آفات على الطريق (١ /٥٧)

(٢) الموافقات للشاطبي ، عن آفات على الطريق

فـريثُ المثـابر امضـى خطـى وابلـغ من قفـزات الصخَـب
وكانت أناةُ الفتى في التقـدم اهـدى واجدى لنّيـل الأرب
ومستعجـل الشيء قبل الأوان يصيب الخسارَ ويجني النصب[1]

٦- إدراك العواقب المترتبة على "الفوضوية"

فالعقلاء يعتبرون بغيرهم ، ومن رأى الفوضويين يتخبطون ويهدرون أعمارهم ، ويخرجون من فشل إلى فشل ، من رأى ذلك كله دله النظر الصحيح إلى أن ركوب "الفوضوية" ركوب لمرض عضال ، وتلبس لسلوك منحرف وعند ذلك يقتنع المرء أن سبيل الفلاح والنجاح هو الفرار من هذا الداء ، وتلمس سبيل التنظيم والمنهجية في كل شيء ، وهذه خطوة عظيمة للبدء بالعلاج .

٧- الاستفادة من الكتب التي جمعت خبرة وتجربة المنظمين لشؤونهم:

ذلك أن دراسة مثل هذه الكتب تعني تلقي خلاصة تجارب الآخرين ممن نجحوا في أعمالهم الإدارية أو الجماعية ، أو ممن نجحوا في تنظيم أوقاتهم ، وطاقاتهم وعند ذلك يسلك المرء خطواته القادمة بتجربة المجربين لابصيحة النادمين ، ويخرج من نجاح إلى نجاح و ﴿ ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾.

٨- التركيز على العمل واتقانه :

وهذا يعني أن تكاثر الأعمال على الذهن يسبب له تشتتاً وذهولاً ، فيحصل من بعد الإتقان لعمل واحد ، التفريط في الأعمال كلها ، ومن صور التركيز على العمل واتقانه:

١) التخصص العلمي : فحري بالمتعلم أن يركز على علم يميل إليه فيشبعه دراسة

---

(١) للأميري في ديوان الوان طيف ،

ونظراً وبحثاً ليستفيد من ذلك إتقاناً وتمكناً ينتفع به من بعد في تعليم الآخرين.

٢) تحديد مهام الوظيفة : فينبغي على الموظف أن يدرك ما هو مطلوب منه فيتابعه متابعة دقيقة ينظر في المتطلبات ويقوم بدراسة كل طلب دراسة شاملة ثم يتبع ذلك ببيان وجهة نظره بقلم واثق وبنفسية غير مترددة.

٣) التركيز في الأعمال الدعوية والإغاثية : فبحسب ما يفقه الداعية ، وبحسب ما يتسع له من وقت وجهد يُحدد المجال الدعوي الذي يُحسن فيه ،ثم يمسك بزمام هذه الثغرة يهتم بها ويتابعها ويطورها وتكون منه السقاية والرعاية حتى يستقر هذا العمل على أساس قوي فيستمر العطاء ويدوم فيه حسن البناء ، والأعمال الإغاثية تحتاج إلى ذلك مثلاً بمثل سواء بسواء .

٩- الإستشارة :

مهما رُزق المرء من عقل ذكي أو رأي زكي ، فهو بحاجة إلى عقول غيره من أهل الرشد ليزداد بصيرة إلى بصيرته ويزداد قوة إلى قوته .

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

وقد كان من أمر الله لنبيه ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾

وكان من ثناء الله على المؤمنين الراشدين ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾

وثبت عن رسول الله ﷺ كثرة التشاور مع أصحابه .

فاستشار خديجة رضي الله عنها حينما نزل عليه الوحي ، وكثيراً ما كان يستشير ابا بكر وعمر في مكة وقد استشار في غزوة بدر في أسارى بدر ، وفي غزوة أحد في الخروج من المدينة ، أو القتال فيها ، وفي غزوة الخندق استشار السعدين في ثمار المدينة ، وفي صلح الحديبية استشار أم سلمة وكثيراً ما كان يردد ﷺ : « أشيروا أيها الناس

علي » رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » رواه الترمذي

هذا ديدنه عليه الصلاة والسلام وهو رسول الله يوحى إليه ومعصوم محفوظ بحفظ الله، ومع ذلك كله يستشير ، فكيف بمن هو دونه ممن هو عرضة للخطأ والصواب. لا شك أنه للاستشارة أحوج ، وهكذا كان دأب الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله جميعاً .

وخلاصة *القول* : أن الاستشارة قوة للذي استشار ، تمنعه من الزلل أو تثبته بعد تردد وحيرة أو تهديه إلى الصواب ، وفي كلٌ خير ، والخطوات المتأنية التي جاءت بعد استشارة وتأمل ، حقيق بصاحبها أن يسلك طريق النجاح ، لا تعوقه العوائق ولا تحبطه العثرات ، ومن كانت الاستشارة ديدنه ، هل يتخبط بفوضوية تشتت شمله وتضيع همه؟ الجواب : الواقع يشهد أن النجاح حليفه ، والنظام رفيقه "وما خاب من استخار ولا ندم من استشار"[١] ومن ترك المشورة كان عن الصواب بعيداً كما قال الأول : « من أعجب برأيه لم يشاور ، ومن استبد برأيه كان عن الصواب بعيداً ».[*]

* * *

(١) يظن البعض أن هذه الكلمات من الأحاديث النبوية ، والصحيح أنها لم تثبت عنه ﷺ ، أنظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦١١)

(*) لمزيد من الفائدة ، استمع إلى محاضرة (فقه الاستشارة) للدكتور ناصر العمر ، ومحاضرة (الاستشارة في حياة المسلم) للشيخ محمد المنجد .

ثانياً : الوصايا الخاصة :

١- حتى لا تكون فوضوياً في طلب العلم :

.. تكلم أهل العلم في منهجية التعلم وبينوا الأسباب التي تعين على طلب العلم بتدرج صحيح وبمنهجية متكاملة ، وتتلخص معالم هذه المنهجية بمايلي :-

١) تذكر أن للعلم فضلاً لا يخفى على عاقل يتدبر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ المجادلة أية ١١

وطلب العلم بنية صادقة طريق إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة** » (١)

٢) استشعر الزجر العظيم الوارد في الذين يقولون على الله بغير علم ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ، ولهم عذاب أليم ﴾.

ولذلك السلف الصالح كانوا يتخوفون من الفتوى ومن كلماتهم المضيئة في ذلك ما قاله الإمام مالك ، قال رحمه الله : « ما أفتيت حتى شهد لي سبعون .. أني أهل لذلك » وقال : « ما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك ولو نهياني انتهيت ». (٢)

وقال القاسم رحمه الله : « **والله لأن يقطع لساني أحبُّ إلى من أن أتكلم بما لا علم لي به** » .

٣) لا تتعجل فالشيطان يدخل مع العجلة وعليك بالتاني في أمورك كلها ، ويتاكد

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، وأنظر صحيح الجامع الصغير ، (٦١٧٤)

(٢) أعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية

ذلك في الحكم على الأمور قبل أن تعرف حقيقتها وقبل أن تعرف حكم الله ورسوله فيها فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ، والميزان الحق هو في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

٤) لا يمنعك الكبر عن سؤال أهل العلم فيما خفي حكمه واحذر من وسوسة الشيطان فإنه قد يقول لك .. أنت طالب علم وعندك الكتب والمؤلفات والمصنفات فلست بحاجة إلى هؤلاء.. وهكذا. فإذا بلغ بك الأمر هذا المبلغ فانفث عن يسارك مستعيذاً وتذكر قول الله ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

٥) اجتهد في أن تتلقى العلم من أهله ، فتتلقى القرآن من القراء ، والتفسير من المفسرين والحديث من المحدثين والفقه من الفقهاء ، هذا إن توافر هؤلاء المتخصصون فإن لم يكن أكتفى طالب العلم بعالم من الأكابر وتلقى عليه سائر العلوم عند التأسيس أما عند التوسع والتخصص فلا بد من تلقي كل علم من أهله كما قال الإمام مالك رحمه الله : « كل علم يسأل عنه أهله »[١] ومن دخل في علم بلا شيخ ، خرج منه بلا علم وقد قيل : « من دخل في العلم وحده ، خرج وحده »[٢]

٦) "من لم يتقن الأصول ، حرم الوصول" و "من رام العلم جملة ذهب عنه جملة" ، وعليه ، فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه ، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن ، لا بالتحصيل الذاتي وحده ، وينبغي مراعاة عدم الإشتغال بالمطَوّلات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.[٣]

٧) " لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب ، فهذا من باب الضجر".[٤]

٨) اجتهد في تقييد الفوائد والضوابط العلمية سواء التي تتلقاها من شرح المشايخ أو مايمر عليك أثناء قراءتك للكتب ، ولحفظ هذه الفوائد طرق عديدة منها :

١- كتابة الفوائد في حاشية الكتاب بعد ترقيم المواضع التي علق عليها الشيخ

---

(١) برنامج عملي للمتفقهين ، د. عبد العزيز القاري، ، صفحة ٤٦ ، ٤٨ .

(٢) حلية طالب العلم ، د. بكر ابو زيد ، صفحة ٣١

(٣) حلية طالب العلم ، د. بكر ابو زيد ، صفحة ٢٥ ، دار ابن الجوزي (بتصرف)

(٤) المصدر السابق ، صفحة ٥٤ (باختصار).

وبهذه الطريقة يصبح بين يديك المتن يصاحبه تعليقات الشيخ في كل موضع وهذا كنز عظيم يرتجيه الكثير.

٢- كتابة الفوائد في مذكرة خاصة لكل كتاب وهذه الطريقة تسعفك في التوسع في نقل الفوائد دون اختصار يلزم ، لأن الصفحات تتسع لكل ذلك ، بينما طريقة كتابة الحواشي لا يتسع فيها إلا جوانب من صفحات في الكتاب قد تضيق بالتعليقات المطولة .

٣- توزيع الفوائد في بطاقات صغيرة في كل بطاقة فائدة علمية يكتب في أعلاها عنوان هذه الفائدة .

٩) تعاهد علمك من وقت إلى آخر ، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ؛ ذهبت » رواه الشيخان

ومما قاله الحافظ ابن عبد البر في تعليقه على هذا الحديث : « ..واذا كان القرآنُ المُيسر للذكر يذهب إن لم يتُعاهد ؛ فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة ؟؟ » .

١٠) "عليك بالكتب المنسوخة على طريقة الاستدلال ، والتفقه في علل الأحكام ، والغوص على أسرار المسائل " ، وممن سلك هذه المنهجية في تصانيفه :

١- شيخ الإسلام ابن تيميه

٢- ابن قيم الجوزية

٣- الحافظ ابن عبد البر

٤- الحافظ ابن قدامة

وكذلك الذهبي وابن كثير وابن رجب وابن حجر والشوكاني وغيرهم [١]

١١) "لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه ، وكثيراً ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك ، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته"[٢]

---

(١) أنظر حلية طالب العلم ، صفحة ٦٧

(٢) حلية طالب العلم ، د. بكر ابو زيد ، صفحة ٥٢ ، دار ابن الجوزي (بتصرف)

١٢) " لاتجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يردُ عليها ، فاجتنب إثارة الشُّبَه وإيرادها على نفسك أو غيرك ، فالشُّبَهُ خطَّافةٌ ، والقلوب ضعيفة ، وأكثرُ من يُلقيها حمالةُ الحطب – المبتدعة – فتوقَّهُم "(١)

١٣) اجتهد في عدم شراء أي كتاب حتى تستشير من تثق في علمه .

١٤) رتب وقتك بحيث تجعل للحفظ وقتاً وللقراءة وقتاً ، وتجعل وقتاً لحضور درس عند أهل العلم .. قال ابن جماعة الكناني : « وأجود الأوقات للحفظ الأسحار . وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل » ثم نقل عن الخطيب البغدادي كلاماً وفيه : « وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات "(٢)

١٥) إذا عزمت على قراءة كتاب فلتحذر أن تنتقل منه إلى كتب أخرى لغير حاجة ماسة فإن ذلك من أسباب تشتيت الفهم وضياع الوقت .(٢)

١٦) حري بك أن تستشير من تثق في علمه وورعه فيما يشكل عليك من خلال قراءتك .(٢)

١٧) أما ما الذي تقرأه وما الذي يليه في كل فن من الفنون ، فهذا مما تكلم فيه أهل العلم وفرقوا فيه بين ما كان فرض عين وما كان فرض كفاية ، وقسموا العلوم إلى أصول وفروع ولكل فن ألته ، وحيث أن هذه الرسالة لا تحتمل الإسهاب والإطالة فالإحالة إلى كتب أخرى أجدى من إهماله والتغافل عنه ، ويمكنك الرجوع في هذا الشأن إلى كتاب « حلية طالب العلم » للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد .. وكتاب « برنامج عملي للمتفقهين » للدكتور عبد العزيز قاريء ورسالة « ربانية التعليم » للدكتور عبد الله يوسف الحسن (*)

---

(١) حلية طالب العلم ، د. بكر ابو زيد ،صفحة ٥٢ ، دار ابن الجوزي (بتصرف)

(٢) الفوضى في طلب العلم ، عبد العزيز السدحان ، صفحة ٢٥ ، (باختصار)

(*) وهناك عدد من المحاضرات في ماذا تقرأ ؟ وما هي الخطوات الصحيحة في طلب العلم .. منها محاضرة (المنهجية في طلب العلم) للدكتور عبد الله الشنقيطي ، وعدد من المحاضرات بعنوان (التاصيل العلمي) للدكتور احمد الغامدي يمكن الاستفادة منها في الجملة .

٢- حتى لا تكون فوضوياً في وقتك :

ذكر أهل التربية معالم عديدة لتنظيم الوقت ، تتلخص فيما يلي : -

١) ينبغي أن تعلم أهمية الوقت في حياتك وتستشعر ذلك في ليلك ونهارك فالوقت هو الحياة ،ومن لم يعرف أهمية الوقت عاش ميتاً ، وان كان يتنفس على وجه الأرض ، **قال ابن الجوزي « .. ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة من غيرة قربة ..»** (١)

٢) بعد تحديدك للواجبات التي على عاتقك أنظر إلى يومك ، وأجعل لكل واجب الوقت الذي يناسبه ، ثم سجل ذلك في ورقة تذكرك إذا نسيت ، وكتابة ذلك خير لك من حفظها في الذاكرة التي تغفل ويقع منها السهو .

٣) لكي تستمر في الاستفادة من الوقت أحرص على تنويع البرامج التي تستفيد منها فإن « من طبيعة الإنسان وفطرته أنه إذا داوم على عمل معين ولفترة محددة فإنه يمل من هذا العمل ، وهذا ما كان السلف رضوان الله عليهم يفقهونه فقد روي عن ابن عباس أنه كان « إذا كلّ من الكلام قال : هاتوا ديوان الشعراء »

كما أن المحدث شعبة رحمه الله كان « إذا ضجر من إملاء الحديث يناشد الأشعار »(٢) ولذلك قالها علي بن أبي طالب رضي الله عنه « **أجمّوا هذه القلوب . وأبتغوا لها طرائف الحكمة ، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان** »(٣)

٤) من خلال معرفتك لطبيعة العمل الذي تريد عمله ومن خلال معرفتك لقدرتك يمكن أن تحدد الزمن التقريبي للانتهاء منه ، فإذا تحدد الزمن بانه ساعة كاملة أو نصفها أو ربعها ، حدد مكان هذا الوقت في ساعات يومك . .

٥) لا تضيع الوقت في الندم والشعور بالذنب على أزمنة مضت لم تستفد منها ففي ذلك احباط للنفس عن المسارعة لاستثمار الوقت مستقبلاً .

٦) تخلص من عاداتك التي اعتد عليها وفيها إضاعة للوقت ، ومن أمثلة العادات التي

---

(١) صيد الخاطر ، عن الوقت عمار أو دمار صفحة ٧٦ ،.

(٢) الوقت عمار أو دمار ، جاسم المطوع ، صفحة ٨١ ، دار الدعوة

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، عن حلية طالب العلم صفحة ٦٤ .

تأخذ الوقت ما يلي :

١- المكالمات الهاتفية اليومية لصاحبك العزيز.

٢- النوم إلى وقت متأخر من صباح أيام العطلة وبالذات (الخميس ، الجمعة) .

٣- الذهاب إلى أماكن بعيدة يمكن الاستغناء عنها بأماكن قريبة يحصل منها المقصود كالذهاب إلى (سوق مركزي ، جامع كبير، تسجيلات إسلامية، مطعم..) مع وجود مثيل لها قريب.

٤- الذهاب إلى أماكن بعيدة لقضاء حوائج يمكن الاستغناء عن الذهاب إليها بالاتصال الهاتفي والتفاهم من خلاله.

٥- تفحص الجرائد وقراءة ما بين السطور مما يأخذ الوقت الطويل في فائدة لا تذكر.

٦) البحث عن المفقود ، عمل يأخذ وقتاً ليس باليسير ولذلك حري بك أن تكون منظماً لأعمالك الورقية ، ويمكنك تلافي الضياع بوضع ملفات صغيرة تجمع كل صنف من الأوراق مع بعضه البعض ومن أمثلة ذلك تجعل ملفاً لكل ما يلي :-

١) ملف للفواتير المنزلية .

٢) ملف للأوراق الرسمية (الشهادات ، استمارة السيارة ، عقد الإيجار ، بطاقة الأحوال ، بطاقة العائلة ، الصكوك (إن وجدت)، أوراق المبايعات.. الخ)

٣) ملف للرسائل (إن وجدت)

ويحسن الإحتفاظ بمذكرة صغيرة تحتوي على :-

١) أرقام الهواتف المهمة .

٢) تقويم السنة الهجري والميلادي.

ومما يختصر وقت البحث الفهارس التفصيلية لكل من :

١) أشرطة الدروس والمحاضرات الإسلامية .

٢) الكتب والمجلات الإسلامية .

٣) الكتب بغير اللغة العربية (إن وجدت).

٤) برامج الكمبيوتر.

٨) تخلص من جميع الأوراق والقصاصات التي لا نفع فيها بوجه من الوجوه .

٩) قبل أن تراجع أو تزور من تريد تأكد من وجوده من خلال المكالمة الهاتفية والأولى أن تكون قبل وقت قريب من الموعد المحدد ، لأن الصوارف المفاجأة كثيرة .

١٠) لمزيد من استشعار أهمية ضبط الوقت حري بك أن تقرأ بعض المؤلفات في ذلك التي جمعت النصوص القرانية والأحاديث النبوية والآثار السلفية ، ومن المؤلفات المناسبة في ذلك (*)

١- الوقت عمار أم دمار ، لـ جاسم بن محمد المطوع

٢- أفات على الطريق ، الجزء الثالث ، للدكتور سيد نوح

٣- قيمة الزمن عند العلماء ، د. عبد الفتاح أبو غدة.

٣- حتى لا تكون فوضوياً في صحبتك والزيارة لك :

للصحبة الصالحة صفات نبيلة يلمس خيرها من خالطهم واغترف من أخلاقهم الفاضلة ، وبعيداً عن المبالغة والعاطفة الجياشة نذكر بعض المعالم المُهمة للصحبة التي تعين صاحبها على تنظيم حياته وفكره ، من أعظمها :-

١) عليك بالصحبة التي إلتزمت منهج الإسلام ، ولا يمكن أن تكون كذلك حتى يتعاهد المتآخيان على تحكيم شرع الله ، والرجوع في كل الأحوال إلى هدي محمد عليه الصلاة والسلام وإلى هذا اشار النبي ﷺ في الحديث : (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) أي تعاهدا في حال إجتماعهما على التزام شريعة الله ، وتعاهدا في حالة تفرقهما على العمل بشريعة الله.. ، وروى أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا تصاحب

(*) ومن الاشرطة المناسبة في ذلك ، محاضرة بعنوان (الثروة المهدرة) للدكتور ناصر العمر ، ودرس بعنوان (الدقائق الغالية) للشيخ عائض القرني ، ومحاضرة بعنوان (مقترحات لإغتنام الوقت) للشيخ محمد الدويش .. وغيرها الكثير .

إلا مؤمناً ولايأكل طعامك إلا تقي)[١]

٢) إياك والمبتدع ، فإن أهل السنة "اتفقوا على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم ، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم .. " وقد قررذلك في عدد من المواضع الإمام الصابوني في عقيدته[٢]

٣) أعرض عن الجاهلين الذين يخوضون في الكتاب والسنة بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين.. كما قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ .

قال ابن بطة – رحمه الله تعالى – في كتابه "الإبانة ١ / ٣٩٠" : (اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة ، وفتح باب البلية على افئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم فوجدت ذلك من وجهين : أحدهما : البحث والتنفير وكثرة السؤال عما لا يعني ، ولا يضر العاقل جهله ، ولا ينفع المؤمن فهمه. والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته)[٣]

٤) مخالطة الناس أمر لابد للمرء منه ، ولكن كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة ، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر :

أحدهما : من مخالطته كالغذاء لا يستغني عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه ، هكذا على الدوام ، وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح.

---

(١) الأخوة الإسلامية ، عبد الله ناصح علوان ، صفحة ١٧ ، مكتبة المنار ، الطبعة الثانية.

(٢) العقيدة للإمام ابو إسماعيل الصابوني ، المتوفي سنة ٤٤٩ ، عن رسالة "هجر المبتدع" د. بكر أبو زيد صفحة ١٩

(٣) عن "هجر المبتدع " صفحة ١٢

القسم الثاني : من مخالطته كالدواء ، يحتاج إليه عند المرض، فما دَمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته ، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش وما أنت تحتاج إليه من أنواع المعاملات والاستشارة ونحوها، فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم مِن .

القسم الثالث : وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه ، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه دين ولا دنيا ، ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا أوأحدهما ، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف . ومنهم الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها ، بل إذا تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به ، فهو يُحدِثُ من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإذا سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض. وبالجملة فمخالطة كل مخالف للروح فعرضية ولازمة، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ، فليعاشره بالمعروف ويعطيه ظاهره ويبخل عليه بباطنه حتى يجعل الله له من أمره فرجا ومخرجا.

القسم الرابع : من مخالطته الهلك كله ، فهي بمنزلة أكل السم، فإذا اتفق لآكله ترياق وإلا فاحسن الله العزاء ، وما أكثر هذا الضرب في الناس – لا كثّرهم الله – وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ ، الداعون إلى خلافها ، فيجعلون السنة بدعة والبدعة سنة، وهذا الضرب لا ينبغي للعاقل أن يجالسهم أو يخالطهم ، وإن فعل فإما الموت لقلبه أو المرض »[١]

٥) " لا بد من أن يعود المسلم الزائرين على ألا تتم زيارة بغير موعد حفاظاً على الوقت،

---

(١) تزكية النفوس ، صفحة ٤٢ ، دار القلم ، الطبعة الاولى.

وتوفيراً للجهد .. "[١]

٦) عليك بمداومة "النظر في سيرة السلف ، وكيف كان حرصهم على الوقت بل واستغلاله استغلالاً صحيحاً حقيقياً ، ولا سيما العلماء والدعاة والمجاهدون.."[٢]

٧) لمزيد من الانضباط وعدم الاحراج من الفارغين ينبغي عدم إشاعة رقم الهاتف بين القريب والبعيد وحري بك أن تكون لبقاً في التخلص من الفضوليين كأن تلمح أن الرقم الهاتفي خاص بالعائلة أو نحوه.

٤- حتى لا تكون فوضوياً في عبادتك :

إنما خلق الله الإنس والجن ليعبدوه ، قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ .ومن كمال العبودية المحافظة على الفرائض وجبر نقصها بالنوافل ، ومما يعين على الإنضباط في العبادات ما يلي:

١) ينبغي أن تستشعر عظمة الله في قلبك ، وأنه – سبحانه وتعالى – يحب المرء إذا قام بالفريضة خيرقيام كما جاء في الحديث القدسي : " **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبهُ ، فإذا أحببته كنتُ سمعهُ الذي يسمعُ به وبصرهُ الذي يبصرُ به ، ويدهُ التي يبطش بها ، ورجلهُ التي يمشي بها ، ولئن سألني لاعطينهُ ، ولئن استعاذني لأعيذنه** » رواه البخاري

٢) حري بك أن تستشعر الأجر الجزيل على القيام بالعبادات ، فإن من تناسى ذلك كان عاقبته الفتور والكسل إن لم يتدنَ أمره إلى أكثر من ذلك ، كيف بك بمساكن طيبة في جنات عدن فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطرعلى قلب بشر ، وفوق هذا وذاك رؤية الله ، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات

---

(١) آفات على الطريق ، (٣/١٢٦)، (٣/١١٤)

(٢) آفات على الطريق ، (٣/١٢٦)، (٣/١١٤)

جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجوه يؤمئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة ﴾ .

٣) احرص على القيام بالصلاة مع الجماعة في بيوت الله ، وكم تساهل في ذلك قومٌ فتدنى بهم الحال إلى قضاء الصلوات بعد خروج وقتها أو نسيانها بالمره ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ .

٤) إياك والتأثر بمخالطة المفرطين بالفرائض ، فإن كنت ضعيفاً لا تطيق التحصن ، فانجو بنفسك وأعلم أن المثبطين في هذا الزمان كثير.

٥) عليك بالإعتدال في المباحات فإن التوسع في الطعام والشراب واللباس والمراكب ونحوها سبب عظيم في التفريط بالفرائض ، ذلك أن هذا التوسع يورث الركون ، والنوم والراحة الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى مثل هذا التفريط .

٦) لا يلهيك التكاثر عن القيام بالعبادات الواجبة على وجه صحيح، وهذا يعني أن كثرة الأعباء والأعمال قد تؤدي إلى الأهمال بالواجبات بحجج ومعاذير واهية فيومٌ يعتذر بضيق الوقت ويوم يعتذر بالذهول والنسيان . .الخ.

٧) في القيام بالعبادات على الفور ، قطع للتسويف وابراء للذمة واغتنام للمنشط قبل المكره، وقد قال ﷺ :« أغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »[١]

٥- حتى لا تكون فوضوياً في الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله كغيرها من الأعمال تحتاج إلى تنظيم الجهود وإتقان الأنشطة ، وحاصل ذلك الثمار اليانعة والزرع الطيب الذي يفرح له الدعاةويغيظ به الكفار ، والمنهجية في الدعوة إلى الله لها معالم عديدة ذكرها أهل العلم بهذا الشأن ، وتتلخص هذه المعالم فيما يلي :

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء : « أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن » عن آفات على الطريق (٢ / ١٨١)

١) ينبغي أن تحمل همّ الدعوة إلى الله وتجعل لها نصيباً من فكرك ويومك ، فهي فريضة افترضها الله عليك بحسب قدرتك وعلمك ، ومن الخطأ أن تجعلها نافلة تحمل همها متى أردت وتتناساها متى شئت ، وإنما أداء الواجب أن تؤديه في المنشط والمكره ، وتصدع به في ما تحب وتبغض وأن تتلقاه عزيمة لارخصة فيها ، وحزماً لا تردد فيه ، وجداً لا هوادة لديه ، حتى لا يكون للرأي فيه تردد ولا للهوى فيه خيار ، وهو الواجب تلقاه راضياً ، وتمضي به مقدماً ، وتحتمله صابراً ، وهو حلو عندك ، وان أمر ، ونافع وإن بك أضر . . "(١)

وكذلك الدعوة إلى الله ليست لعبة يتسلى بها المرء ليُحصلَ فرحة يفقدها أو حظاً لنفسه يرتجيه . . كلا بل هي أمانة بين يدي المسلم سيسأله الله عنها يوم القيامة . فإذا كان الأمر بهذا الشأن، وجب على الداعية أن يستشعر وجوب تقوى الله في مسلكه الدعوي فلا يخلط دعوة صالحة بأعمال باطلة آثمة ، ومن تقوى القلوب ألايتسرع بإرتجال اراء في مسائل الديانة ومسالك التربية .

٢) من خلال معرفتك لنفسك ، وبعد استشارة الدعاة الثقات ممن يعرفك حق المعرفة يتحدد بين عينيك ما الذي تُحسنه ، وما الأمانة التي تطيق أن تحملها بين يديك . . أهي التعليم والقاء الدروس العلمية ؟ أم الوعظ والقاء المحاضرات التربوية ؟ أم متابعة الشباب وصناعة الرجال من خلال الأنشطة المدرسية . . الخ ، فإذا تبين لك ذلك ، حصرت نفسك وجمعت همّك ، فكان منك من بعد الإبداع والإتقان ، وقيمة المرء ما يُحسنه . .

٣) ابتعد عن الصوارف التي تصرفك عن واجبك الدعوي ، ومن أمثلة هذه الصوارف

١- كثرة الجدال ، وتتابع المشاحنات مع الدعاة الآخرين .

٢- العمل مع الدعاة الذين ابتلوا بالفوضوية فإن من عاش معهم، عاش كرجل الإطفاء مُمسك بزمام آلة الإطفاء يتابع حرائق أولئك القوم يطفى هذه تارة ويطفيء تلك تارة أخرى ، يصحب هذا الجهد النفسية السيئة لهذا الداعية

---

(١) الشوارد ، لعبد الوهاب عزام م ع تصرف ،

والتي تحول بينه وبين التفكير السديد .

٣- تجنب أهل النميمة ممن حملوا رأية إفساد ذات البين ، فلن يزيدوا قلبك إلا حسرةً وظلمة تأخذ عليك الأوقات ، وتُشغلك بالآهات والزفرات .

٤) بعد تحديد العمل الدعوي ، سارع للتعرف على أركانه ، والنظر في أطرافه ، وذلك يكون بسؤال الثقات ممن سبروا أغوار هذا المضمار ، وتعرفوا عليه من تجربة قديمة ، ويكون كذلك بالنزول إلى ميدانه ، وتحديد ما يحتاجه هذا العمل وما لا يحتاجه .. يصحب ذلك ، بل يسبقه التعرف على الأحكام الشرعية التي تتعلق بشأنه ، كما قال عمر رضي الله عنه : « **تفقهوا قبل أن تسودوا** » .

٥) غالباً ما يكون العمل الدعوي أو الإغاثي متشعب الأطراف ، مما يعني أن اليد الواحدة لا تطيق الإمساك به أو ببعضه ، ولذلك البحث عن اليد الأخرى ، خطوة متأكدة لمتابعة هذا العمل وإتقان ادارته ، وليس من نافلة القول أن نؤكد أن هذه اليد الأخرى ينبغي أن تكون يداً يجري في عروقها حب التعاون والتكامل ليديم الله بفضله عملاً دعوياً ناجحاً .

٦) توزيع الأعمال الدعوية على الدعاة كلٌ بحسبه ، ومن ثم تبقى المتابعة العامة لهم وهذا الفعل يجعل من الأنشطة المطروحة تتحرك بقوة لأن كل داعية من هؤلاء ينشط فيما كُلف به وبخاصة إذا كان ممن يحسنه ويجيد إدارته .

٧) أعلم أن الداعية "محروم من التاثيرفي غيره ما لم يكن هو متاثراً منصبغاً بما يدعو إليه ، كما أن تمثيله لحقائق دعوته وترجمته لمعاني إيمانه تهبانه قدرة تلقائيه على شد المقابل إلى مساره أو الإحسان في تربيته ."

٨) كُنْ على جادة السلف الصالح من الصَّحابة رضي الله عنهم ، فَمَن بعدهم ممن قَفَا أثرهم في جميع أبواب الدين ، من التوحيد ، والعبادات ، ونحوها ، متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ ، وتوظيف السُنن على نفسك ، وتَرك الجدال ، والمراء ، والخوض في علم الكلام ، وما يجلبُ الآثام ، ويصدُ عن الشرع .. ».[1]

---

(١) حلية طالب العلم ، صفحة ٢١

٩) ينبغي أن تتضح الرؤية للداعية في خطواته القادمة فبعد الخطوة الأولى خطوة ثانية فإذا انتهى من الثانية كانت التي تليها ، وهذا يعني أن الداعية لديه تخطيط مسبق لتحركه الدعوي ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة فها هو يحدد الخطوات لرسوله إلى اليمن – وهو معاذ رضي الله عنه – فيقول له : « **إنَّكَ ستأتي قوماً أهلَ كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله فإن هُمْ أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فَرضَ عليهمْ خمسَ صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياهم فتردُ على فقرائهم فإن هم اطاعوا لك بذلكَ ، فاياك وكرائمَ اموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» متفق عليه

فتقديم الأهم فالمهم شريعة نبوية ، كانت جزءاً من منهجه ﷺ في الدعوة العملية ، وهي جزء من وصيته لصحابته المبلغين عنه .

١٠) غايتك هي دعوة الناس إلى عبادة ربهم حق العبادة ، فلا تأخذك الصوارف إلى إنقلاب النية في قلبك أو إلى غفلة عن هدفك ، فيكن من بعد دعوة لذاتية أصابها الغرور ، أو لتكثير سواد متعالم جهول ، أو قد يؤول الأمر إلى جمع الناس على بدعة ، أو حشرهم على غير شيء .

١١) عليك بالصبر على دعوة الناس ليزدادوا إيماناً إلى إيمانهم ، ولا تضجر من طول الطريق فإن قلة العلم ، وانتشار الجهل قد أتى بالعجائب ، ولذلك جند نفسك على الإصلاح بنفَسٍ طويل ، وأعلم أن الأمر كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :(إني اعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله ، قد فني عليه الكبير ، وكبرعليه الصغير ، وفصُح عليه الأعجمي ، وهاجر عليه الأعرابي ، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره)[١]

١٢) أعلم أنه " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي صلح به أولها كما قال أهل العلم والايمان ومن جملتهم الإمام المشهور مالك بن أنس .. قال هذه المقالة ، وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده ، ووافقوا عليها جميعاً.. والمعنى أن الذي صلح به أولها

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن عبد الحكم / ٣٧

وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ، هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة »[١]

١٣) ومعالم المنهجية في الدعوة إلى الله كثيرة ، ذكرها أهل العلم ، فوجهوا إلى أحسن السبل وأرشدوا إلى ضوابط مهمة في الوسائل الموصلة إلى الغاية المنشودة ، **« دعوة الناس إلى أن يتمسكوا بالكتاب والسنة في المنشط والمكره »** ، ومما يُنصح بالرجوع إليه في ذلك :-

١- كتاب « من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز » في الدعوة

٢- كتاب « زاد الداعية » لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٣- كتاب « أصول الدعوة » للدكتور عبد الكريم زيدان

٤- رسالة « فن الدعوة » للشيخ عائض القرني

٥- رسالة « الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة » لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٦- حتى لا تكون فوضوياً في أعمالك اليومية :

ما زال الفرد في مجتمعاتنا يعيش دون المستوى المطلوب في الإنتاجية، ولذلك أسباب كثيرة منها الفوضوية بلاشك ، ولإنتاجية أفضل لابد من تنظيم وتخطيط ذهني سابق للأعمال اليومية فضلاً عن غيرها ، وقد ذكر في ذلك أهل التجربة وصايا واقتراحات نذكرها على سبيل الإختصار فيما يلي :-

١) حدد أهدافك الشخصية التي ترغب الوصول إليها وهي إما :

أ- أهداف قريبة : كأن تريد أن تنتهي من اصلاح سيار تك

ب - أهداف بعيدة: كأن تريد أن تصبح أستاذاً بعد خمس سنوات

---

(١) مجموع فتاوي ومقالات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ١ / ٢٤٩ ، الطبعة الثانية.

"إن وضعك أهدافاً لنفسك بهذه الطريقة هو الخطوة الحيوية الأولى باتجاه التخطيط لتحقيقها "(١) .

٢)خذ قسطاً من الوقت في التفكير في كيفية الوصول إلى هذه الأهداف ، يُعينك في ذلك كتابتها في ورقة لترجع إليها بين الحين والآخر .

٣) حدد المسئوليات التي تحملها بين جنبيك (الوظيفة ، العائلة ، الدراسة . .الخ) ثم حدد أهدافك في كل مسئولية ، وما هو المطلوب منك في كل مجال ؟

٤) كن واقعياً في تحديد قدراتك والظروف المحيطة بك ، ومن ذلك :

أ- ساعات النهار والليل تتغير مع تغير الفصول الاربعة ، وهذا التغير يمثل قيداً على ما يمكن أن تفعله.

ب - معلوماتك ومهاراتك المكتسبة محدودة ، وهذا الأمر يمثل قيداً ثان .

جـ - ما هو موجود بين يديك من ممتلكات قد يساعدك في الوصول إلى أهدافك.

د- عند الحاجة إلى أيدي الآخرين في عمل ما ، هل يمكن طلب العون منهم ؟؟

٥) إياك والفوضوية في التعامل مع الأوقات ، ولخطورة هذا الأمر صنف الأداريون الرسائل والكتب في ما يسمى بـ« ادارة الوقت » ، بل تقوم العديد من الشركات بإرسال مديريها لأخذ فصول دراسية في "كيفية ادارة الوقت" وخلاصة القول أنه ينبغي أن توزع الأعمال بحسب الأوقات المناسبة لها.

٦) "إنك في حاجة إلى خطة لكي تحول الهدف إلى انجاز ، فالخطة في أبسط أشكالها هي قائمة الأعمال التي ستأخذك من حيث أنت إلى حيث ما تريد أن تكون في المستقبل ، ولذلك عليك أن تنتقل من خطوة إلى خطوة بشكل منطقي كي تصل إلى الهدف" (١)

٧) إياك والمماطلة ، ونعني بذلك ، تأجيل ما ينبغي عليك عمله اليوم إلى الغد وهذا يؤدي إلى تجاهل الأعمال ذات الأولويات الكبرى والتركيز بدلاً من ذلك على الأعمال ذات الأولويات الدنيا » "وتعني المماطلة أن الخطط لم توضع ، أو إن كانت قد وضعت، فإن الالتزام بها لم يتم ، ولذلك فإن الوقت يضيع هباء معها"(١)

---

(١) كيف تكون عملياً أكثر ، جون وفونا همفري ، ترجمة سامي تيسير ، المؤتمن للنشر.

٨) قبل الإقدام على عمل ما ، ينبغي أن تتضح الرؤية لديك ، ويكون الوضوح في أي عمل بالإجابة على هذه الأسئلة :-

١- ما الذي يجب تحقيقه ؟ (النتيجة المرغوبة)

٢- لماذا يجب أن يتحقق ؟ (أسبابه)

٣- متى يجب تحقيقه ؟ (حدود الوقت)

٤- من الذي سيحققه ؟ (الأشخاص المشمولون)

٥- أين يجب أن يتم ؟ (المكان المقرر)[١]

٩) من العبث أن يوسد الأمر إلى غير أهله ، فتفويض الأعمال لغير المتخصصين بها المتمكنين منها هو نوع من تبديد الجهود ، وإضاعة الأوقات .

١٠) أثناء العمل وبعد الإنتهاء من الخطوة الأولى من خطواته سارع لتقييم جدوى هذه الخطوة ، وهذا التقييم له فوائد منها :

١- توضيح القيمة الواقعية للعمل.

٢- إبراز الإيجابيات وكذلك السلبيات .

٣- تهيئة الأرضية اللازمة لبناء النظرية المستقبلية .

٥- التواؤم بين الأعمال وترتيب التنسيق فيما بينها "[٢]

١١) احرص على اتقان أعمالك ، واستشعر في ذلك قوله ﷺ :« **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » رواه مسلم

١٢) لتحسين تنظيم حياتك العملية ولتطوير ادارتك لأمورك الشخصية والوظيفية يحسُن الاستفادة من الكتب التي جمعت تجربة المجربين . ومما يُنصح بالرجوع إليه في ذلك :-

١- كتاب " كيف تكون عملياً أكثر ؟ ، جون وفونا هيمفري ، ترجمة سامي تيسير .

٢- الإدارة الحديثة في خدمة التربية ، التخطيط ، لطف احمد محمد الكبسي .

---

(١) كيف تكون عملياً أكثر ؟ صفحة ٦٤

(٢) الادارة الحديثة في خدمة التربية ، لطف الكبسي ، صفحة ١١٧ ، دار المجتمع

٧- حتى لا تكون فوضوياً في تفكيرك :

ذكر أهل التربية والتجربة معالم عديدة للتفكير المنظم الذي يسلك مسلكاً منهجياً في خطوات ما قبل التفكير وأثناءه ، مما يصل بصاحب الفكرة إلى نتيجة صحيحة إن شاء الله ، وتتلخص معالم منهجية التفكير فيما يلي :-

١) ينبغي أن يكون عقلك متسع الأفق ، له فقه بالأمور ، وإدراك للأشياء وإنما يتحصل ذلك بسؤال الثقات ، وبالإطلاع على الكتب النافعة ، وفي الوقت ذاته ، تبتعد عن المقالات والكتب التي تشوش الذهن وتحطم الثوابت وتنقل قارئها إلى الشك في كل شيء ، وإلى التردد في كل عمل.

٢) ينبغي عليك ألا تحقر عقلك ، فكثير من الناس يصبح أحدهم كالميت بين يدي المُغسل يبصر ببصر غيره ، ويفكر بعقل غيره ، لا يشغل عقله ولا يتفكر في ماهو مقدم عليه أو معرضٌ عنه . . وهذه الكلمات ليست دعوة إلى الغرور ، بل كن واقعياً في تقدير عقلك وطاقتك لتعرف ما تستطيعه مما لا تطيقه.

٣) ينبغي أن يكون تفكيرك مبني على يقين صحيح بعيد عن الظن والتخمين ويتحصل هذا اليقين بأمور :

١- التثبت والتبين في تلقي المعلومات الواردة كما قال تعالى : ﴿ ياايها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ وعدم قبول أي دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها ، بل ﴿ قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين ﴾.

٢- تجنب الظن ، فإن الظن لا يغني من الحق شيئا ، وقد حذر الله منه ونهى عنه فقال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾.

ونعى الله على الكافرين ظنهم ، وذكر مقالتهم المرفوضة : ﴿ إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ وعلى هذا الظن كفروا بالله وبدينه، والعياذ بالله ، وذم الله الظن بقوله : ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله إن

يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ .

وحذر الرسول ﷺ من الظن فقال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » رواه الشيخان

٤) اختر الوقت المناسب للتفكير بحيث يجتمع الهمُّ ويصفى الذهن، وبهذا نعلم عدم مناسبة التفكير والمرء يشعر بالإرهاق أوالمرض أو ذهنه منصرف إلى صارف من الصوارف .

٥) عليك بالموازنة بين الايجابيات والسلبيات ، وتقدير المصالح والمفاسد فإذا ترجحت المصالح أقدمت ، وإلا أعرضت وهكذا .

٦) حريٌّ بك أن تستفيد من تجربة الآخرين وأن تعتبر بإخطاء السابقين من المتقدمين والمعاصرين ، كما قال تعالى : ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيانٌ للناس وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ .

٧) عليك أن تميز بين الخير وما خالطه من شر ، والشر وما خالطه من خير فإن الخير درجات والشر درجات ، والعاقل من عرف خير الخيرين وشر الشرين كما قرر ذلك داهية العرب عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال : " .. ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، لكن العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشرين " .

٨) عليك أن تضبط عواطفك الجياشة وحماسك الملتهب ، وإلا فإن التفكير سيصيبه الخلل ويميل بك ميلاً عظيماً . ومن تقلبت عواطفه لم تثبت مواقفه .

٩) اتبع الحق لا الهوى ، فإنه من غلبته نفسه تجاهل الحق ولو كان واضحاً جليا ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا ﴾ ، والتفكير الذي يتقلب في أوحال الأهواء ، لن يكون منهجياً منظماً بحال ، ﴿ **أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه .. ﴾** .

١٠) إياك والتعصب لغير الحق ، فإن هذا طريقك إلى الضلال ، ولنا في أبي طالب عبرة، ألم ترى كيف أورده تعصبه لملة عبد المطلب الوفاة على الكفر والعياذ بالله وللتعصب صورٌ عديدة منها :-

١- التعصب لأراء القبيلة كما قال دريد بن الصمة :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

٢- التعصب لعالم من العلماء أو لمفكر من المفكرين .

٣- التعصب لكل فكر وافد من الحضارة الغربية خيره وشره .

٤- التعصب المذهبي حتى قال أحدهم : "كل حديث يخالف مذهبي فهو ضعيف أو منسوخ" .

١١) إياك والتعميم : فإن إصدار الأحكام العامة دون استقراء تام يجمع المسيء إلى المحسن والصالح إلى الطالح ، والتفكير المنظم هو القائم على حقائق دقيقة (أرقام ، إحصاءات) يتحصل منها على نتائج صحيحة ، أما مجرد إطلاق العموميات من غير برهان ولا دليل ظاهر فهذه سِمةٌ من سِمات العقول المستريحة التي تجمع بين المتفرقات وترضى بالترهات .

١٢) عليك بالصدق في تفكيرك لا تتقلب بحسب مصالح تزعمها ، بل تنظر نظرة صادقة إلى الأمور فما كان صواباً تتبناه وما كان خطأ ابتعدت عنه وكشفت زيفه .

١٣) كن عادلاً منصفاً في تقييم الأشخاص والأفكار كما أمرنا الله بذلك في كتابه الكريم ﴿ **ولا يجرمنكم شنأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾

١٤) لا تغتر بالمظاهر الزائفة ، فكم من عقولٍ خُدعت ببهرجة المظاهر وزخرفة الأقوال ولذلك كان من تحذير القرآن ، تحذيره من الإغترار بمظاهر المنافقين ، قال تعالى ﴿ وإذا رأيتم تعجبك اجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ ، وكان من تربية الرسول ﷺ لأصحابه أن يربيهم على عدم الإغترار بالمظاهر .

"**مر رجل له هيئة حسنة بين يدي مجلس رسول ﷺ فسأل عليه الصلاة والسلام : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : هذا حريٌ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يشفع ثم مر رجل آخر عليه سمات الفقر فسأل ﷺ : ما تقولون في هذا ؟ قالوا : هذا حري إن خطب أن لاينكح وإن شفع أن لا يشفع ، قال ﷺ : " إن هذا خيرٌ من مائة من مثل ذاك"** .

وبهذا يتبين أن المظاهر البراقة والاضواء المسلطة قد تُلفت النظر عن حقيقة

المسميات كما قال أحدهم :

ألقاب مملكة في أرض مهلكة كالهر يحكي في انتفاخته صَولة الأسد

١٥) تحرر من الأوهام والخرافات ، فكم من عقول وطاقات ذهبت سدى ، وأُهدرت في شعوذة وتقديس لأموات أو انصرفت في هممة على طريقة صوفية مُبتدعة .

١٦) احذر المبالغة والتضخيم للأمور ، فالعدل أن تقدر لكل شيء قدره وتعطي لكل أمر حقه فأما سبيل التهويل والتضخيم فهو سبيل إلى الشطط وإرتجال الأراء غير السليمة . .

١٧) قبل أن تعزم ردد النظر في الفكرة التي تفكرت فيها ، تأملها وقلبها من عدة جهات حتى إذا نضجت وثبتت كانت الإنطلاقة على بصيرة وقناعة تامة ، وهكذا كان يفعل بعض الشعراء ، كانوا يُخرجون في كل سنة قصيدة واحدة فقط، من كثرة التأمل وتقليب النظر فيها ، حتى إذا خرجت كانت عصماء مُتقنة تأخذ بعقول ذوي الألباب (١)

١٨) إياك والتقليد الأعمى ، سواءٌ كان للاباء والأجداد أم للسادة والكبراء ، "وفي القرآن انكار شديد على الذين يقولون ﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ وفيه كذلك نعي شديد على موقف الأتباع الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل، وبيان تبرئهم يوم القيامة بعضهم من بعض وتحميل الفريقين تبعة ما هم فيه من ضلال ، قال : ﴿ لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون ﴾.

وفي الحديث النبوي تحذير من اتباع الجمهور إن كانوا على خطأ.

قال ﷺ : « لايكن أحدكمُ إمعة » يقول : أنا مع الناس ، إن احسنوا أحسنت وإن أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن اساؤوا ألا تظلموا » رواه الترمذي (٢)

---

(١) لمزيد من الفائدة استمع لمحاضرة (معالم في منهجية التفكير) للدكتور بشر البشر ، ومحاضرة (منهجية التفكير) للدكتور علي بادحدح ، ومحاضرة (التفكير) للدكتور ناصر العمر.

(٢) الرسول والعلم ، د. يوسف القرضاوي ، صفحة ٩٣ ، مؤسسة الرسالة (بتصرف يسير)

٨- حتى لا تكوني فوضوية أيتها المرأة :

لكل امرأة برنامجها اليومي بحسب حالها وإن عليها من الاعباء والواجبات ما يستلزم منها النظر بعين الجد إلى وجوب تنظيم إهتماماتها ، ومراعاة وقتها ومما ينبغي تنبهها إليه .. ما يلي :

١) إياك والتفريط في الصلوات من أجل أعمال منزلية أو مكالمات هاتفية بل خذي على نفسك العهد أن تؤدي الصلوات في أول وقتها.

٢) زيارات الزميلات من المساكن المجاورة ينبغي أن يضبط بوقت معين حتى لا تتمادى إحداهن فتأتي في أوقات حرجة أو تطيل الجلوس إلى أوقات متأخرة وضبط هذا الأمر يتحصل بالتلميح تارة وبالتصريح تارة مع حُسنٍ في الحديث لاتتحرك معه الضغائن في الصدور.

٣) إياك والإستسلام للاهواء ، ومن صور ذلك الرغبة القوية في نفس كثير من النساء على شراء ما تقوم الحاجة إليه وما كان غير ذلك ، وقد صاحب هذه الرغبة كثرة الخروج إلى الأسواق وكثرة الإنفاق حتى أُبتليت بعضهن بالإدمان على الشراء فهي تشتري كل ماتشتهي وهذا ما أستنكره الفاروق رضي الله عنه فقد قال لرجل اشترى لحماً : ما هذا ؟ قال : لحم اشتهيته فاشتريته ، فرد عمر رضي الله عنه : أكلما أشتهيت أشتريت ؟!

٤) كثرة الخروج من المنزل تعني اقتطاع أوقات من حق الزوج أو الأولاد ، فإذا تتابع هذا الأمر تحصل التقصير الشديد ، والوضع الصحيح أن يُلتفت إلى الخروج من المنزل إلتفاتة معتدلة لا إفراط ولا تفريط .

٥) إياكِ والتقليد ، فإن محاكاة الآخريات مرض شائع بين النساء.

٦) حري بك أن تستشعري أن المرأة المسلمة لها مايميزها عن غيرها من نساء العالمين فهي ذات شخصية إسلامية .. عقيدتها نقية وفكرها واضح وهدفها محدد .. فهي

مسلمة بصبغة خاصة ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾.

٧) إياك والبوح بالأسرار ، فإن ذلك من هتك الأستار ومن خيانة الأمانة ونقض العهود .. وقد وصف الله المؤمنين بقوله :﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾.

* * *

وفي ختام هذا البحث المتواضع "**الفوضوية في حياتنا** "
أحسب أنني بذلت ما في وسعي من أجل أن يخرج – القارىء الكريم– بفائدة تنفعه أو باشارة توقظه ، وكأني بهذه الوريقات وقد تكاثرت تريد أن تؤكد لنا جميعاً أن الموضوع متشعب وأن الداء منتشر ، فهل نسارع لمصارحة أنفسنا والنظر في جوانبها فكم من عيب قد يخفى علينا وهو واضح في أعين الأخرين ، فإن هم لم ينصحوا فلا أقل أن نسارع نحن لنصحها وتربيتها .. والله اسأل أن ينفع بهذه الكلمات المسلمين والمسلمات وأن تكون لنا تبصرة وذكرى .. إنه سميع مجيب الدعوات ..

المحتـــويـــات

الموضـــوع	الصفحة
١- بين يدي الرسالة	٣
٢- تعريف "الفوضوية"	٥
٣- مفاسد "الفوضوية"	٦
٤- صور من "الفوضوية"	
١) الفوضى في طلب العلم	٨
٢) الفوضوية في التعامل مع الأوقات	٩
٣) الفوضوية في الصحبة والزيارة	٩
٤) الفوضوية في القيام بالعبادات	١٠
٥) الفوضوية في الدعوة إلى الله	١٠
٦) الفوضوية في الأعمال الدنيوية	١٢
٧) الفوضوية في حياة المرأة	١٣
٨) الفوضوية في التفكير	١٤
٥- أسباب "الفوضوية"	١٥
٦- علاج "الفوضوية"	
أولاً : الوصايا العامة	٢٣
ثانياً : الوصايا الخاصة	
١) حتى لا تكون فوضوياً في طلب العلم	٣١
٢) حتى لا تكون فوضوياً في وقتك	٣٥

الموضوع	الصفحة

٣) حتى لاتكون فوضوياً في صحبتك والزيارة لك ٣٧
٤) حتى لا تكون فوضوياً في عبادتك ٤٠
٥) حتى لا تكون فوضوياً في الدعوة إلى الله ٤١
٦) حتى لا تكون فوضوياً في أعمالك اليومية ٤٥
٧) حتى لا تكون فوضوياً في تفكيرك ٤٨
٨) حتى لا تكوني فوضوية أيتها المرأة ٥٢

* * *